

إنما اليقين في الوحي والفقه




تأليف فضيلة الشيخ

سعد بن عبد الرحمن الحصين

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع: ٢٣٤٢٩ / ٢٠٠٥

دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والتوزيع

٩ شارع أحمد إسماعيل متفرع من منشية التحرير من شارع جسر السويس
عين شمس الشرقية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

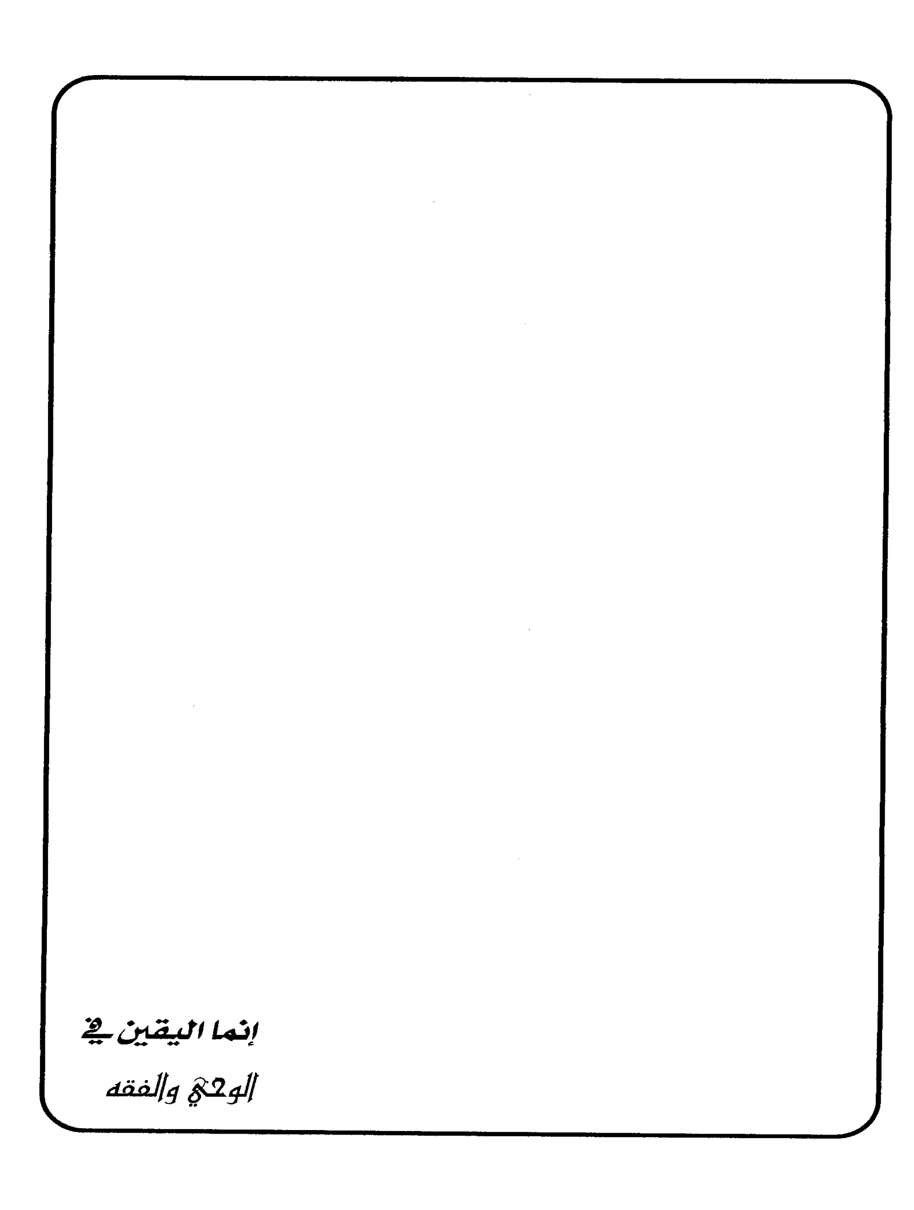
جوال: 0020104671439 - 0020101021187

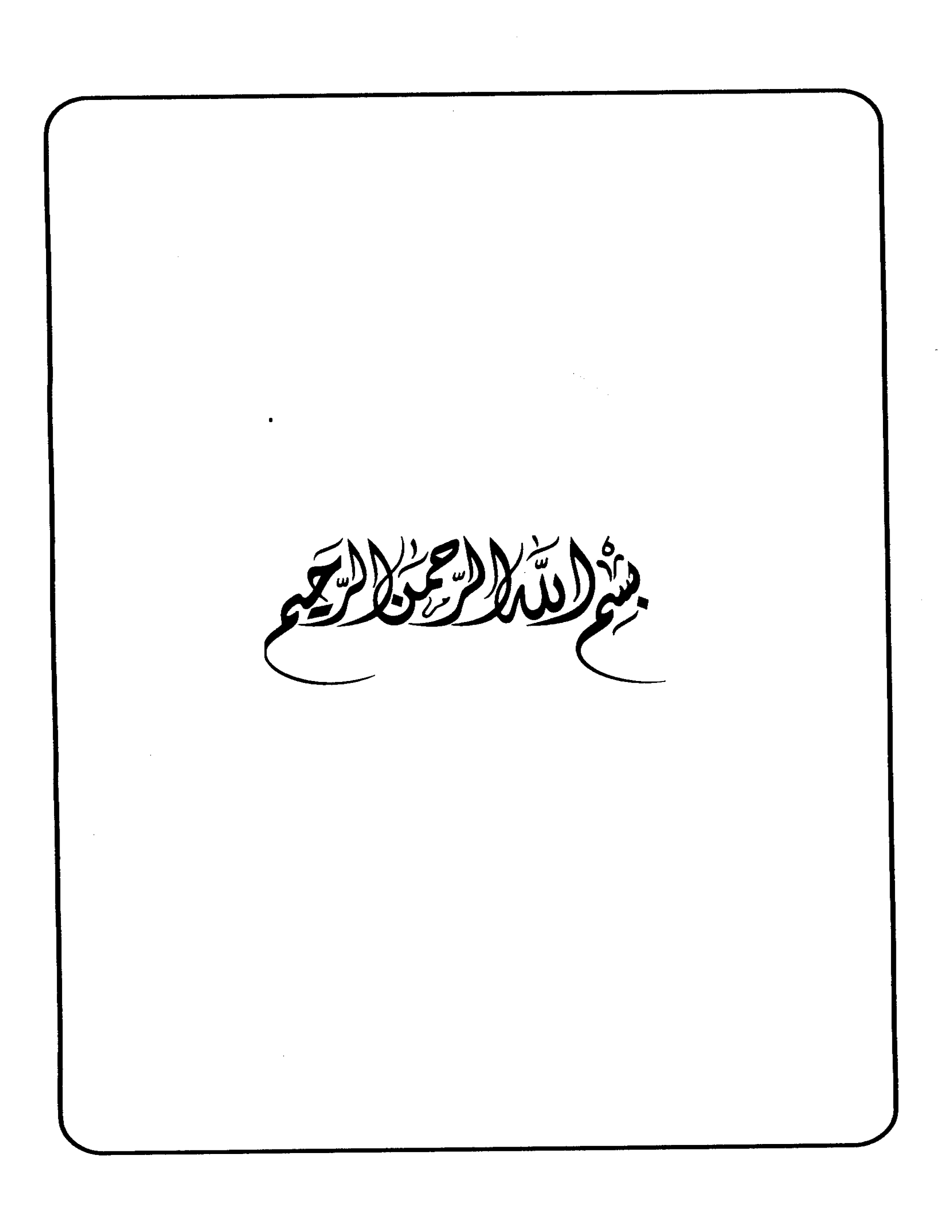
موقعنا على الإنترنت: WWW.dar-Ketab-Sunah.Com

البريد الإلكتروني: Dar_alKetabwalSunah@hotmail.Com

Dar_alKetabwalSunah@Yahoo.Com

info@dar-Ketab-Sunah.Com


إنما اليقين في
الوحي والفقه


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبده رسوله، أما بعد:

فهذا هو القسم الثاني من المقالات، وسيلاحظ القارئ شيئًا من التكرار حين تدعو الحاجة إليه. وقد تكرَّر ذكر قصّة آدم وحواء في سُوَرٍ عِدَّة، وتكرَّرت الآية في السورة الواحدة وفي سُوَر عدَّة، وتكرَّر وصفُ الجنَّة والنَّار والحشر والحساب، وذكرُ الحياة والموت والدنيا والآخرة، وذكرُ خلق الله السموات والأرض واستوائه على العرش، وذكر الإيمان والشرك. وكان رسول الله ﷺ يُكرِّر القول لِيُفْهم عنه، ويُكَرِّر الأمر والنّهي، ويكرّر الدعاء.

ودين الله واحد لا يتغيّر بتغيّر الزمان ولا المكان ولا الحال ولا اللّغة، وكذلك الدعوة إلى الله لا تتطوّر ولا تتجّدد إلا بالدعوة بها إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ولن يَصْلح آخر هذه الأمة إلّا بما صَلَح به أوّلها.

وهذه المقالات محاولة للعودة بالقضايا المتعلّقة بالدين والدعوة إليه إلى منهاج النبوّة الموحى به من الله العليم الحكيم الخبير،

وبالقضايا المتعلّقة بالدنيا إلى العقل والمصلحة بعيدًا عن التقليد الببغائي لما تَنْعِق به وسائل الإعلام والنشر والإشاعة، وهي مصادر التّحيليلات السياسيّة والفكريّة والحركيّة اليوم.

وهي تركّز على ما أَهْمَل أكثر الدُّعاة التّركيز عليه وهو أهمّ ما أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله: نشر التوحيد والسُّنّة والتّحذير من الشرك والبدعة، وجمع كلمة المسلمين على ذلك، وتحذيرهم من التفرّق على مناهج البشر مظنّة الخطأ والزّيغ والضّلال، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، وهي تركز على أن تُبْنَى الدعوة إلى الله وشرعه على اليقين والفقه في الدين وتجنّب ما تهواه الأنفس من الفكر والظنّ، قال الله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.



الفكر الإسلامي يخالف الوحي والفقه

ابْتُليَ الإسلام - بعد القرون المفضّلة - بانشغال بعض (المفكّرين) في صفوف علمائه بالفكر اليوناني عن تدبّر الوحي والفقه فيه، ظنًّا منهم - وبعض الظَّنِّ إثم - أن الغاية تبرّر الوسيلة، وأن حُسْن النّيّة يُسّوغ تحكيم الفكر في الدين، وتحكيم الظن في اليقين، وتحكيم الفلسفة الصّوفيّة الوثنية في معرفة الله.

وفي القرن الأخير شمَّر (الإسلاميون) عن سواعدهم وعن أقلامهم وعن ألسنتهم وعن أهوائهم وعن إعانات المحسنين لاستغلال ما سمَّوه (الفكر الإسلامي) لصالح الحزبيّة أو التّجارة أو السُّمعة، بحجة البحث عن بدائل لأنماط الحياة الغربيّة، ولا بديل للضلال إلا الحقّ، ولا للظن إلا اليقين، ولا الفكر إلا الوحي، ولا للعادة إلا العبادة، فظهرت المطبوعات والمدارس والبنوك والمستشفيات ونوادي الرّياضة البدنية والفنون الموصوفة كلّها زورًا (بالإسلامية)، وظهر الفكر والفلسفة والاشتراكيّة والدّيمقراطية الموصوفة كلّها زورًا (بالإسلامية)، وظهر فكر الإعجاز العلمي للقرآن ليصرف الشيطان وأعوانه به المسلمين عن تدبّر كتاب الله وسنّة رسوله - كما فَقِهَهُمَا السلف الصالح - إلى محاولة بائسة لربط الوحي بالفكر وربط اليقين بالظّن ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. وتحوّلت المواعظ الدّينيّة إلى محاضرات مبنيّة على فنون الفكر

والبلاغة والشّعر والقصص والأمثال الدّارجة والفكاهة، يجتمع عليها أكثر ممن يجتمع على المواعظ الشرعيّة بالآية والحديث والحكم الشرعي في الاعتقاد والعبادة والمعاملة، وصار أكثر المسلمين (مثقّفوهم وعوامهم، لا أقول علماؤهم) يرون البدعة هي السنة حتى أعلن بعض قادة الفكر المنحرف أن: (تنزيه الوحي عن الفكر خطر عظيم على مستقبل الدّين) وأنّ: (الله تعبَّدنا بالظّنّ كما تعبَّدنا باليقين) وأن (سنّة التّطوّر توجب إعادة النظر في كتبة التاريخ والسيرة، بل في كتابة التفسير وفقه الأحكام الشرعية.

والفكر (الإسلامي) - بلا شك - قابل للتغيّر والتبدُّل والتناقض والانحراف والخطأ، لاختلاف آراء المفكرين باختلاف أقدارهم و«كل ابن آدم خطّاء»، ولتعيّر نظر المفكّر نفسه بين أمسه ويومه وغده، ولكن الوحي الإلهي لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يتناقض ولا يخطئ؛ لأن الخالق العليم الخبير الحكيم أنزله بعلمه، وهو أعلم بخلقه في الماضي والحاضر المستقبل، وهو أعلم بما يُصلحهم وما يَصْلُح لهم؛ وليس عليهم في الدين إلا الاتباع، أما الابتداع والاختراع في الدّين فهو استدراك على الله وعلى رسوله، ومعصية حَرِيَّة ألّا تُغْفر بدون التوبة قبل الموت؛ فهي مثل الشّرك بالله ليس لها من دوافع الغرائز البشريّة ما تُعْذر به، وهي - مثله - من معاصي الشّبهات التي هي أكبر من معاصي الشهوات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ .

أ- ومن أحدث الأمثلة على التناقض بين الفكر (الإسلامي) وبين الوحي والفقه فيه، بل وبين الفكر والفكر: إعلانٌ علّقته على مفرق الطّريق إحدى المجلات (الإسلامية) في بعض بلاد المسلمين وهو نسخة مكبّرة - على حساب الصَّدَقَة- لأحد أغلفتها يَأْمُر بمقاطعة بضائع الكفار، مع أن المجلّة بغلافها وإعلانها مرتبطة بهذه البضائع من كلّ وجه:

١- فكرة الإعلان وموادّه وأدوات تنفيذه ونقله ونشره، كلها من صنائع وبضائع من تأمر المجلّة بمقاطعتهم.

٢- المجلة (الإسلامية) نفسها نشأت وترعرعت في بلد ودولة تصفها المجلة بالكفر والعلماينة (إنكلترا) وفيها مقرّ المركز الذي يصدرها؛ فهي مَدِيْنة لها بوجودها وأمنها واستقراها واستمرارها.

٣- وهذه المجلّة تقوم على فكر (مفكر إسلاميّ) من بلاد الشام (هاجر) من أرضٍ وصفها الله بالبركة والقداسة ومدحها رسول الله ﷺ، (ولجأ) إلى أوروبا (بديانتها النّصرانيّة وسياستها العلمانية) بحثًا عن الأمن والدّيمقراطية التي يأمل لفكره الانتشار في ظلّها - إضافة إلى رغد العيشة، مع أنّه ينكر على الحكّام السّفر إلى الغرب عند الحاجة لبيع منتجات بلادهم وشراء السّلاح وعقد الاتفاقات الدّنيويّة لمصلحة الجميع، وما كانت (هِجْرَتُه) من بلده الأصلي خلافًا على الدّين بل على السّلطة، وإن تذرّع أمثاله بالاحتجاج على إسقاط فقرة من الدّستور تدّعي أن (الإسلام دين الدولة) وهم يعلمون أن الإسلام لم يكن دين الدولة

منذ حُكْم (الخرافة) العثمانية، فيما عدى تهيئة المساجد للصلاة وبعض أحكام الأحوال الشخصيّة وما زال الأمر في بلاد الشام على ما كان عليه.

ب- والمجلة - بهذا الإعلان - تخالف العقل والفكر - وإن وافقت الهوى والعاطفة - فهي تقوم - من الألف إلى الياء - على الصّنائع والبضائع والأفكار والمخترعات والمنتجات والثقافة الغربيّة: المراجع والمطابع والخدمات ووسائل الاتصالات والمواصلات ، بل وثياب القائمين عليها وجميع وسائل حياتهم.

ج- والمجلّة - بهذا الإعلان - تخالف شرع الله تعالى في كتابه وفي سنّة رسوله ﷺ؛ فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

والفرق واضح لمن يَفْقَه بين التولي وبين التعامل بالمعروف. ولا يُقبل من المجلة - صاحبة الغلاف والإعلان - ولا من العاملين فيها ولا من موجّهيها أن يدّعوا أن أوروبا أو أمريكا قاتلتهم في الدّين ولا أنها أخرجتهم من ديارهم ولا أنها ظاهرت على إخراجهم، وهم يدّعون أنهم فرّوا إليها بدينهم ويُقِرّون - عمليًا - أنها آوتهم ومنّت عليهم بالرّزق والأمن، ومنّت على أكثرهم - ومنهم موجهوا فكرهم

- بصفة اللجوء السّياسي وجواز السّفر أو بالجنسية، وما أقرب ذلك من التولّي المنهيّ عنه في آخر الآية الكريمة وفي آيات كثيرة، فَهُمْ بين شِقَّي رحى المعصية.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

وثبت عن النبي ﷺ أنّه كان يتعامل مع المشركين واليهود والنّصارى ويقرّ التعامل معهم عند الحاجة، وأنّه دخل في جوار أحدهم، واتّخذ أحدهم دليلاً له في هجرته من مكة إلى المدينة، واتّخذ أحدهم عينًا (جاسوسًا) له، واستعار أدرع أحدهم عارية مضمونة، وزارع اليهود (بعد كلّ غدرهم) في خيبر، وقَبِلَ الهدية من بعض اليهود وزارهم وزاروه وأكل من طعامهم، ولبس الملابس من صناعة نصارى الرّوم ومشركي اليمن: **«ومن رغب عن سنتي فليس مني»**، وأحلّ الله في محكم كتابه الأكل من طعام أهل الكتاب والزواج من نسائهم.

وفّق الله الجميع لتدبّر وحيه، والفقه في دينه، وأتباع سنّة نبيّه، وأعاذهم من الهوى والفكر والظنّ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد وصحبه ومتّبعي سنته.



أولية الاعتقاد في الدّين والدّعوة

استمرارًا لمحاولاتي المتكررة نصيحة الأمين العام للندوة العالمية للشباب بالسعي لإخراجها من براثن الحزبية الحركية التي أُسِّست عليها من أول يوم؛ كتبتُ له هذا الخطاب ردًّا على خطابه، مع ظنّي أنّه خير أُمَنَائِها:

١- لقد ظهر لي من أقوالكم الحدّ المحزن الذي بلغه بعض أبناء جزيرة العرب وبعض مؤسّسات الدعوة التي تقوم وتموّل في بلاد التوحيد والسّنّة من جهل بدعوة التوحيد وانحراف عن منهجها النبوي، وتأثّر بمناهج الحركات الحزبية المبتدعة التي ترفع شعار الإسلام وتغزو جزيرة العرب - فيما ظهر لي منها - تطلب ما منَّ الله به عليها من الدنيا وترفض ما منّ الله به عليها من الدين والدعوة على منهج سيد المرسلين.

٢- والواجب محاربة هذه الفِرق كلها وإخراجها من كل بلد مسلم، وبخاصة من جزيرة العرب كما يقول الشيخ د/ بكر أبو زيد - زاده الله توفيقًا - في كتابه (خصائص جزيرة العرب): (والجماعات إن استشري تعدّدها في الجزيرة فهو خطر داهم يهدّد واقعها ويهدم مستقبلها، ويجعلها مجمع صراع فكري وعقدي وسلوكي) ص ٨٦، ويقول: (فواجب والله تنظيف هذه الجزيرة من

تلكم المناهج الفكرية المبتدعة والأهواء الضّالّة وأن تبقى عنوان نصرة للكتاب السّنّة والسّير على هدي سلف الأمّة حربًا للبدع والأهواء المضلّة) ص ٨٨، وفي كتابه الفريد: (حكم الانتماء للجماعات والأحزاب الإسلاميّة) حُكْمٌ صريح بتحريم تعدّد الجماعات والأحزاب الدّينيّة وأنّها الفِرَق المخالفة لمنهاج النّبوّة.

٣- اعترفتم بأن الندوة منذ نشأتها (لم تعقد مؤتمرًا واحدًا لتصحيح العقيدة والعبادة)، واعترفتم بأن الندوة منذ نشأتها (لم ترفع راية الإعلان عن التوحيد ومحاربة البدع)، وإدراك الخطأ والاعتراف به أوّل مراحل الإصلاح لو أنكم رأيتم الباطل باطلًا، ولكنّكم للأسف رأيتم الباطل حقًّا هدانا الله وإياكم، وهذا ما جناه الفكر - الموصوف زورًا بالإسلامي - على من استبدله بشريعة الله فاستدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وأضلّه السّراب (مناهج البشر المبتدعة) عن الماء الزلال (مناهج النبوة)، وهذا ما جناه انتقال زمام الدّعوة إلى الله من علماء الشّرع إلى المثقّفين والمفكّرين والقُصَّاص من الواعظين والكتاب والحركيين الموصوفين بالإسلاميين.

٤- قرّرتم أن: (من طبيعة عمل الدعوة ألّا تُرَكّز على بعض الموضوعات [الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك] بذكرها بأسمائها، وهذا القرار مخالف (لطبيعة عمل الدعوة) في منهج جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ فقد (ركز كلّ الرسل) على هذه الموضوعات دون استثناء: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾

، وذكروا هذه الموضوعات بأسمائها: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، وفَهِمَ من أُرْسِلوا إليهم ذلك فقالوا: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ وعَدُّوا ذلك سبًّا لآلهتهم وتسفيهًا لأحلامهم وتفريقًا لجماعتهم.

٥- قرّرتم أنّ (أفضل تأثير يأتي بشكل غير مباشر) وحَسِبْتُم (أن الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك بطريق غير مباشر قد يكون أنفع في هذا الوقت)، أستغفر الله لي ولكم ولكلّ مسلم موحِّد، أخشى أن يبلغ مثل هذا الكلام درجة الاستدراك على الله ورسوله والمشاقة لله ولرسوله، فإنّ أصغر طلاب العلم الشرعي يعرف من نصوص الكتاب المحكمة والسنة الصريحة الصحيحة أن الدعوة إلى التوحيد كانت دائمًا مباشرة وصريحة ومقدّمة على غيرها، وأن شرع الله فيها أقرب إلى التحديد والحزم وفي بقية أمور الدين أقرب إلى السعة والتيسير، وإن فَهِمَ أكثر المسلمين اليوم وعملوا خلاف ذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، وقال النبي ﷺ عن ربه في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»، وقال ﷺ: «**حق الله على العباد ألّا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله ألا يعذّب من لا يشرك به شيئًا**» [متفق عليه].

وبيَّن الله له الطّريق الصّحيح للدعوة: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾.

٦- وبأمر الله (ركّز) النبي ﷺ على الأمر بالتوحيد والسنة والنهي عن الشرك والبدعة وبدأ به كما فعل كل نبيّ قبله بأمر الله، واستمر على ذلك عشرة أعوام قبل أن تُفْرَض الصلاة، ثمّ ما بعدها من الفرائض، ولم يضعف التركيز عليه بعد ذلك، فلقد كان ذلك موضوع آخر خُطَبِه وآخر كلماته قبل الموت بين خيرة المؤمنين من أهل بيته وصحابته - رضي الله عنهم -، وكانت كلّ خُطَبِه بوم الجمعة موجهة لبيان أحكام الاعتقاد وشرائع الدين مما لا يكاد يَدْخل في دائرة اهتمام الندوة.

ولا شك عند كل ذي بصيرة في دين الله والدعوة إليه أن أهم مشكلة تواجه المسلمين في هذا الوقت - ككلّ وقت -: فساد المعتقد والابتداع في الدين؛ فلا يوجد بلد مسلم خارج هذه البلاد والدولة المباركة إلا وفيه مساجد بنيت على القبور، وطُرُقٌ صوفية ضالّة، وعباداتٌ لم يأذن بها الله، وغير بعيد من مراكز الندوة في الخارج يتعبّد كثير من المسلمين بالشرك الأكبر: الذّبح للقبر أو للمقبور ودعاؤه، والطواف بالقبر والحلف به أو عنده، والتنافس على أوثان المزارات والمشاهد والمقامات بين المسلمين والنصارى واليهود وغيرهم، وليس الأمر مقصورًا على العوام؛ فقبل عشر سنوات وقف أحد مشايخي[١] في كلّيّة الشريعة بمكة المباركة (وهو

(١) الشيخ/ محمد متولي شعراوي تجاوز الله عنّا وعنه.

من أشهر الدعاة المنتسبين إلى السنة) يستقبل رئيس طائفة الإسماعيلية البُهَرة ويحتفل معه بكسوة قبر الحسين بالذهب والفضة، وقبله بقليل أكّد شيخ الأزهر (الحاصل على الدكتوراه من الأزهر ومن السربون) أنه لم يجرؤ على التأليف عن (البدوي) إلا بعد أن استأذنه فأَذِنَ له، وهذه مكاتب الدجالين والعرّافين والمشعوذين والسحرة تعجّ بمرضى المسلمين من كلّ بلد مسلم بلا نكير.

٧- قرّرتم أن: (المقصود من الدعوة النتيجة) وبنيتم على هذه المقدمة الخاطئة نتيجة خاطئة فقلتم: (وإذا كان رفع الشعار [الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك] قد ينفّر بعض الناس فلا ضرورة لرفعه).

أستغفر الله لي ولكم ولكل مسلم موحّد، لا شكّ أنّ (رفع شعار التوحيد) في كلّ رسالة بعثها الله نفّر أكثر الناس، والله يعلم ذلك قبل أن يَحْدُث، ولم تختلف سنة الله في بعثة رسله؛ فكان الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك هو (الركيزة) وهو نقطة البداية وهو الأهمّ في كلّ حال وكلّ زمان وكلّ مكان منذ أن يُبعث الرّسول حتى يموت.

ولبث نوح - عليه السلام - ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، **«ويأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد»**، والداعي إلى الله ليس مسئولاً عن (النتيجة) فأَمْرُها بيد الله وحده، إنما يُسْأل عن النية وعن المحاولة على منهج االنَبوّة المعصوم من الخطأ، الموحى به من الله، لا على منهج غيره من البشر الخطّائين.

ولو كنا مسئولين عن النتيجة فمن الذي أَطْلع الندوة على الغيب وضَمِنَ نتيجة أفضل للمناهج المبتدعة؟ التجربة تثبت فشل هذه المناهج المبتدعة جميعًا؛ ففي حيّ نظام الدّين في دلهي الذي يقع فيه مركز (جماعة التبليغ) الأوّل والأهمّ لم تتأثر أوثانه منذ ستّين سنة بدعوتهم، بل زحفت القبور إلى مسجدهم، وهذه أوثان المقامات في مصر لم تتأثر (بجماعة الإخوان المسلمين) منذ ستين سنة أيضًا، بل مقام بعض قادتهم[1] يمجّدون خرافات الصّوفية ويعظّمون المقامات والمبتدعات، ولم تتأثر (بحزب الجهاد) في أي بلد، وأوثان فلسطين لم تتأثر بحركة (حزب التحرير) منذ أكثر من بضع وثلاثين سنة.

٨- قرّرتم أن: «الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والتوحيد قد ارتبطت بمناهج فيها كثير من عدم الحكمة وتنفير الناس».

هذه هي التّهمة التي يقذفها كلّ صوفي وكلّ خرافي وكلّ قبوري وكلّ حزبي منحرف عن منهج النبوة في الدين والدعوة لإسكات صوت الدعوة على التوحيد والسُّنَّة على منهاج النبوة.

ولو تبصّر الأخ في الدين وفي وطن الدعوة إليه وتخلّص من تأثير الحركات الحزبية المبتدعة لأدرك أن: (الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والتوحيد) هي الحكمة سواء قَبِلها البشر أو نفروا عنها،

---

(١) سعيد حوّى في (تربيتنا الرّوحيّة) وعمر التّلمساني في (شهيد المحراب) - مثلًا - رحمهم الله.

وما الحكمة إلا السنّة قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، ولو بحث أخي لم يجد دليلًا على ما يقول إلا الفكر المنحرف لمفكر جاهل بشرع الله، ولوجد أن جميع الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم وجميع الدعاة المقتدين بهم - ومن خيرهم الدّعاة المجدّدون في بلاد ودولة التوحيد والسنة في جزيرة العرب - ثبتوا على (الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والتوحيد)، وقوبلوا بالرد والنفور من قبل أهل الضلال ثم نصرهم الله وخذل غيرهم من دعاة المناهج الحزبية المبتدعة جميعًا.

٩- كان السلف - ولا يزال متبعوهم - على استعداد للتّخلّي عن اسم أيٍّ من البشر غير محمّد ﷺ، ولا يجوز لي ولا لك ولا لأيّ مسلم الانتماء في الدّين لبشر ولا لمنهج عدا انتمائنا والتزامنا بمنهجه؛ لأنه جاءه الوحي من عند الله وأنّ أمرنا بالإقتداء به: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾.

١٠- إذا كان المنحرفون عن المنهج الشرعي الوحيد والدائم للدعوة صادقين في استنكارهم (ارتباط الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والسّنّة بمناهج فيها كثير من عدم الحكمة وتنفير النّاس) كما ذكرتم؛ فلماذا لا يخلطون منهاجهم المبتدعة (بدعوة صريحة للعقيدة الصحيحة والسّنّة) تلتزم الحكمة وتتجنب تنفير الناس، ولكن الشيطان - أعاذنا الله منه - يقدّم تهمة (عدم الحكمة وتنفير الناس)

تسويغًا لفظيًا لترك الدعوة إلى (العقيدة الصحيحة)؛ لأنه يعرف أكثر من بعض أتباعه أنه لا تُقبل طاعة ولا يَنفع ترك معصية مع فساد الاعتقاد وترك السنة، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

١١- وقوع الندوة بن براثن (حزب الإخوان المسلمين) حقيقة واقعة ومعروفة، ووجود بعض أعضائها (من سوريين ومصريين وباكستانيين وهنود) لم يكن مصادفة كما تظنّون، ولكنّهم زرعوا في معظم المؤسسات الدينيّة والدنيويّة الحكوميّة وغير الحكومية في البلاد في البلاد المباركة وغيرها لِجَرّ المنفعة القيادية والمالية والإدارية لصالح الحزب بطريقة سلميّة خفيّة بعد أن فشلت المحاولات العنيفة العلنيّة. واتفاقكم معي على وجود هؤلاء العاملين الحزبيّين في الندوة كافٍ للإنذار بالخطر على مستقبل الدعوة في الجزيرة بخاصة والمراكز الدينية والقيادية فيها بعامة، وأخطر من ذلك أن قيادة الندة لم تَخْرُج مرة واحدة من أيدي الحزبية، ولو استعرض أخي أسماء من تولّوا أمانتها العامة ونيابتها ورئاسة أقسامها وفروعها لم يجد بينهم من يَسْلَم من الانتماء إلى (حزب الإخوان المسلمين) الذي اغتصب الوصاية غير الشرعية على الندوة من أوّل يوم.

١٢- قرّرتم أنَّ: (كل الأنشطة الإسلامية المخلصة الموجودة الآن في الساحة تصبّ في نهر الإسلام) ولست أعرف مقياسكم للإخلاص،

فالحكم على القلوب لله وحده، وتحقُّق أو ادّعاء الإخلاص وحُسْن النية لا يكفي عن صلاح العمل، قال الله تعالى عن شرّ عباده ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وقال تعالى عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

كل (الأنشطة الإسلامية) الحزبيّة تَدّعي الإخلاص وتَظُنّ أنها على الهدى، وهي تصبُّ في نهر الإسلام فتلوّثه وتكدّر صفاءه، ولا أعرف واحدًا منها يصحّ انتماؤه إلى منهج النبوة غير (تجديد الدّين والدعوة في جزيرة العرب) التي يجتهد بعض أبنائها اليوم لاستبدال المناهج المبتدعة به، خاب مسعاهم، وهدانا الله وإياهم للحق وثبتنا وإياهم عليه.

ولعل الله أن يزيل هذه الأسماء والشعارات والمنهاج وجميع أسباب ومظاهر التفرّق، ولعل الله أن يكفينا باسم المسلمين الذي سمّانا به عن الأسماء الخاصّة المبتدعة التي سمّاها الناس وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان واستغلّها الشيطان ليختلف المسلمون ويتفرقوا في الدين من بعد ما جاءهم البينات، ولعل الله أن يكفينا بمنهاج النبوة عن مناهج البشر في الدين والدعوة، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعين سنته.



باب الشرك الأكبر

أطلعني بعض الأخوة أثابهم الله على رأي للأستاذ/ إياد مدني في منتدى جريدة عكاظ عدد ١٣٢٨٣ في ٥/ ١١/ ١٤٢٣هـ تضمّن ما يلي:

١- وجوب الاعتراف بمشاركة المرأة (مثلها مثل غيرها): وبما أن (غير المرأة) هو الرّجل، وأن الله خلقها ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ولتربية أولادها ولتدبير بيتها، وأن الله كونها تكوينًا مختلفًا غير تكوين الرّجل لاختلاف وظائفهما (المحاطة بالوظيفة المشتركة بينهما: عبادة الله وحده)، وبما أن الله ميّز هذه الدولة على جميع دول الإسلام والكفر بعد القرون المفضلة بالدعوة إلى شرع الله وتحكيمه وتأسيسها على ذلك من أول يوم؛ فلا يليق بمثله ترديد ما يردّده صغار الكتبة تقليدًا لغير المسلمين أو المسلمين ممن لم يميّزهم الله بالدّين ولا بالبلد ولا بالدّولة. كيف (تصبح انطلاقتنا أكثر سلاسة) إذا تَرَكَتِ المرأة وظيفتها الشرعيّة والطّبيعيّة ونافست الرجل على وظيفته؟

٢- والطامّة الكبرى: تأكيده أن المؤسسة (التي اؤتمن عليها] (تنادي وتطالب بأن تكون هناك عناية بالمواقع التي يحرص معظم الحجاج والمعتمرين على زيارتها)، وأَسَفَه (للنظرة التي تُحكمُنا تجاه الآثار الديّنيّة حتى لا تؤدّي العناية بها إلى الشرك والبدع، وتجاه الآثار الوثنيَّة؛ لأنه يجب ألا يلتفَتَ إليها).

واستشهَدَ بفعل المنحرفين من العامة في بلد مجاور: (فليس هناك قبر لصحابي إلّا وقد أنشئ بجواره مسجد)، واتَّهَمَ عددًا من المسؤولين في هذه البلاد والدولة المباركة باعتقاده تأييدهم هذا الاتجاه.

ولقد أسفت لمواطن في دولة التوحيد والسّنّة ميّزه الله بتعلّم التوحيد والسّنّة في كل مراحل التّعليم العام، وجنّبه مظاهر الشرك والبدع والمعاصي، وأعطاه الله من الثّقافة ما أهّله ليتبوّأ منصبًا من أهم المناصب التي وُجِدتْ لتطهير بيوت الله من الشّرك والبدع للطّائفين والعاكفين والرّكّع السجود، ثم هو ينزل إلى مستوى عوامّ الحجاج والمعتمرين والمبتدعة والمُخَرِّفين الذين لم يميّزهم الله بشيء مما ميَّزه به.

وكان الواجب على مثله أن يَدْعُوَ الناس إلى منهاج النبوّة في الدين والدّعوة، لا أن يُسَايرهم ويلبي رغباتهم المخالفة لشرع الله؛ فإنَّ آخر وأهمّ وصايا الرّسول (: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** [رواه البخاري ومسلم]، وفي رواية أخرى: **«قبور أنبيائهم وصالحيهم»** كرَّرها مَّرات في الأيام الأخيرة لحياته، قاتلت عائشة - رضي الله عنها -: يحذّر مثلما صنعوا [متفق عليه].

والمساجد التي رآها (في عطلة عيد الفطر) هي الأوثان المسمَّاة بالمقامات والمشاهد والمزارات، ولا توجد طائفة ضالّة منذ قوم نوح

إلّا وقد بدأ ضلالها واستمرّ بسببها؛ فقد ذكر البخاري في صحيحه تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - لقول الله تعالى عن قوم نـــــوح: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾، قال: (أولئك أسماء رجال صالحين لما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصابًا)، وذكر مثله ابن جرير وابن كثير في تفسيريهما: وقال رسول الله (في مرض موته عن النّصارى في بنائهم الكنائي على قبور الصالحين: «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصّالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوّروا تلك الصّور.. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**» [رواه البخاري ومسلم].

أما آثار الجاهلية (الوثنيّة) فإن رسول الله (نهى أصحابه لما مَرّوا بالحِجْر (مدائن صالح) أن يَدْخلُوا هذه الآثار وأمثالها إلا باكين خشية أن يصيبهم ما أصابهم في الحديث المتفق على صحته، وأمرهم أن يهريقوا الماء الذي استقوه منها ويلقوا العجين الذين عجنوه من مائها أو يعلفوه الإبل.

وقد هدم وُلاة أمر هذه الدولة المباركة - أعزَّهم الله وأعزَّ بهم دينه - جميع المساجد والقباب التي بناها المبتدعة في عهود الفاطميّين والعثمانين على القبور مرّتين خلال قرنين من الزمان، وبذلك أعزَّهم الله وحفظ بهم بلاد الحرمين وما حولها من آثار الشرك والبدع، وحفظهم بذلك من كلّ شرّ ومن كلّ ذي شرّ.

وقبل عشرات السنين أَمَرَتْ دولة التوحيد والسنة حفظ الله بها

دينه بترحيل البادية من منطقة آثار (الحجر) وتعويضهم عن مساكنهم بإشراف هيئة كبار العلماء.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنّه قطع شجرة بيعة الرضوان خشية اعتيادهم للصلاة عندها، وأنّه نهى عن قصد مكان صلىّ فيه النبي (في أحد أسفاره إلا أن تدركهم فيه الصّلاة مثل غيره، وقال: (إنما أهلك من كان قبلكم تتّبعهن آثار أنبيائهم).

والله قد أوجد هذه البلاد وهذه الدّولة قدوة صالحة وأقامها من أوّل يوم بعقدٍ شرعي صريح على إزالة البدع ومظاهر الشرك، ونَشْر التوحيد والسّنّة، وقد وَفُتْ بفضل الله بهذا العقد استجابة لأمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾. وهذا أعظم العقود شأنا.

وليس في مكّة المباركة مكان شرَعَ الله تعظيمه غير بيته الحرام للجميع ومشاعر الحج للحاج، ولم يشرع الله تعالى ولا سنّ رسوله ﷺ زيارة مكان آخر؛ لا غار حراء ولا غار ثور ولا غيرهما، ولم يشرع الله تعالى ولا سنّ رسوله (التّعبد بزيارة مكان في المدينة النبوية غير مسجده ومسجد قباء للصلاة والذكر وزيارة قبره وقبري صاحبيه، وزيارة قبور أصحابه في البقيع وأُحُد للدعاء لهم، لا مسجد الغمامة ولا مسجد القبلتين ولا المساجد السبعة المزَوَّرة ولا غيرهما.

قد يظنّ كثير من المثقّفين الجاهلين بشرع الله أن الشّرك قد انتهى

بوجود المدارس والجامعات، ولكنّ من يهتمّ لهذا الأمر العظيم يدرك أنّ أكثر المنتسبين للإسلام والسّنّة - فضلًا عن تغيرهم - يدعون أصحاب القبور، و: «**الدعاء هو العبادة**»، وينذرون ويذبحون لهم ويطوفون بقبورهم، أو أنهم لا ينهون عن ذلك ولا تتمعّر وجوههم لمشاهدته ولو ادّعوا الدّعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يذهب الليل والنّهار حتى تُعْبَدَ الّلات والعزى**» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «لا تقوم السّاعة حتى تضطرب أَلَيَات نساء دوس على ذي الخلصة»، وصدق رسول الله ﷺ لقد حدث هذا بعد القرون الخيِّرة فَهَدَمَته دولة التوحيد والسّنة مرّتين في المرحلة الأولى والحاضرة.

وأرى أن يتّقي الكاتب ربّه فيتوب إليه، وأن يتثبّت فلا يتهّم أحدًا من الموحّدين بإقرارهم هذا الباطل وهو أكبر باب للشرك فتحه الشيطان لأتباعه منذ قوم نوح حتى تقوم السّاعة.

وأعرف أن أحد من اتّهَمَهم الكاتب بمشاركته هذا الإثم يعتزم تأليف رسالة عن وصايا النبي ﷺ لبيان أهمّ وآخر وصاياه: سدّ ذريعة الشرك الكبرى؛ بتحريم بناء المساجد على القبور.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته والدعاة إلى منهاجه في الدين والدعوة.



سدّ ذرائع الشّرك

كتب أحد دُعاة البدعة والتّصوّف في بلاد التوحيد والسنة (هدانا الله وإياهم لأقرب من هذا رشدا) يوم الجمعة ١٨/ ١/ ١٤٢٤هـ في جريدة المدينة (الرّسالة ص٥ - المنتدى) يؤيّد الدعوة الشيطانيّة إلى إحياء ما يسمّى (الآثار الدّينية) أوسع أبواب الشرك والابتداع والضّلال منذ قوم نوح وحتى تقوم الساعة؛ كما يشهد بذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس عن منشأ الوثنيّة في قوم نوح بوحي من الشيطان م(٤٩٢٠) وانظر تفسير ابن جرير وابن كثير لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ . وما ورد عن عمر - رضي الله عنه - من النّهي عن تحرّي الصّلاة في مكان صَلّى فيه النبي ﷺ وقوله: (إنما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم)، وما ورد عنه من قطعه الشجرة التي بايع الصحابة تحتها رسول الله ﷺ خشية افتتان الناس بها، وظنّ داعي البدعة والخرافة أن التحذير من تعظيم ما لم يشرع الله تعظيمه (تنطّع ووهم وتكفير بغير حق)، ولعلّه لم يسمع بفقه سدّ الذرائع وحماية حمى التّوحيد.

وقد جمع له بعض طلبة العلم الشرعي (الذين لم يتخلّصوا من إرث أسلافهم، رغم استيطانهم ودراستهم العلوم الشرعيّة في بلد ميّزه الله مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ بالطّهارة من أسوأ مظاهر الشّرك والبدع؛

والمشاهد والمزارات والمقامات والأضرحة وزوايا التصوّف وبِيَعُ الشيطان) جمعوا له بضعة أحاديث وآثار يضرب بها الآيات والأحاديث والآثار الصحيحة التي سِيْقت في التّحذير من الغلوّ والابتداع؛ شأن الجهلة بشرع الله من المثقّفين.

ولأنه لا يستطيع مجابهة الحقيقة - بفضل الله - اخترع أهدافًا يحاربها:

أ- (سوء الظّنّ بنوايا المسلمين ومقاصدهم)، مع أن الدعوة إلى التّمسّك بالسُّنّة وتجنّب البدعة التي نُشرت في المكان نفسه وأثارت حفيظته بدأت بتقرير (إحسان الظّنّ بنيّة الكتبة - الدّاعين إلى إحياء الآثار الديّنيّة والوثنيّة - وإدراك سوء قولهم وعملهم). وليت دعاة البدعة يدركون أنّ حسن النيّة لا قيمة له، إلا بصلاح العمل، أي متابعته لما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه، فقد قال الله عن شرّ خلقه: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

ب- (التّكفير)، ولم ترد في الدعوة التي انتدبه الشيطان للردّ عليها كلمة التكفير، بل إن كاتبها حذّر كثيرًا من فتنة التّكفير وطالب بمنع كُتُب سيّد قطب - تجاوز الله عنّا ونمنه - وبخاصّة (في ظلال القرآن) و(العدالة الاجتماعيّة في الإسلام) و(معالم في الطريق) و(معركة الإسلام والرأسمالية) لأسباب من أهمّها: التكفير بغير حق.

وفرقٌ لم يدركه الكاتب بين تكفير المعيّن وتكفير فعله، وفرقٌ كبير لم يدركه الكاتب بين التّكفير وسدّ أبواب الشرك والابتداع

وذرائعها يتبيّن من نقله نصّين مبتورين عن ابن تيميّة وابن عبد الوهاب - رحمهما الله - عن تكفير الفعل لا الفاعل إلّا بشروطه ولم يلتفت إلى واقع انتصارهما للسّنّة وتحذيرهما من الشرك والبدعة وهدمهما مظاهر الشرك، الأوّل في بلاد الشام، والثاني في جزيرة العرب جزاهما الله خير الجزاء، بل لم يلتفت إلى وصف النبي ﷺ مطالبة بعض أصحابه بذات أنواط أنها مماثلة لمطالبة قوم موسى رسولهم عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم آلهة، وقوله: «بئس الخطيب أنت» لمن قال: (ومن يعصهما فقد غوى) وقوله: «أجعلتني لله ندّا»؟ لمن قال: (ما شاء الله وشئت)، ولم يَغْنِ ذلك رِدَّتهم وكُفْرهم المخرجَ عن الملَّةِ.

ج: رَدَّ قول عمر - رضي الله عنه - وعمله في سدّ الذريعة بأثرين عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - وثالث عن الإمام أحمد - رحمه الله - في التّبرّك بآثار صحيحة من آثار النّبي ﷺ، ولم ينتبه إلى ما يلي:

١- أن سنة عمر الخليفة الرّاشد المهدي - رضي الله عنه - لا تُرَدّ بِقَوْلِ مَنْ دُوْنَه أو عَمَله كائنًا من كان؛ لأن النبيّ ﷺ حثّ أمّته على اتباع سنّته وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين وعمر - رضي الله عنه وعنهم - خيرهم بعد أبي بكر.

٢- أن من صحّ عنه التّبرّك بأثر صحيح من آثار النّبيّ ﷺ لم يُحْيِهِ بالبناء عليه أو يجعله مزارًا، وأنه لا يقاس عليه أثَر غيره.

٣- أكثر الآثار التي بُنِيَت عليها المساجد في مكة المباركة والمدينة النبويّة قَبْل ولاية دولة التوحيد لم تصحّ نسبتها إلى النبيّ ﷺ وأصحابه - رضي الله عنهم - كالمساجد السّبعة التي اخترعها الُمزوّرون في المدينة وموقع المولد الذي اخترعه المزوِّرون في مكة، ولم يَسُنَّ رسول الله ﷺ التقرّبَ إلى الله بزيارتها ولا زيارة غار حراء ولا غار ثور، ولا الصلاة عندها، قولًا ولا فعلًا ولا تقريرًا، وما لم يَسُنَّه الرسول ﷺ فلن يكون دينًا إلى قيام الساعة؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ .

٣- ليست المشكلة في الصلاة في موضعٍ ثبت أنّ النبي ﷺ صلّى فيه وحسب - وإنما ما جرّ إليه التّهاون في مقاومة الابتداع مِنْ بناء المساجد على الأنصاب المختلفة في أكثر بلاد المسلمين، ومِنْ نذرٍ وذبحٍ ودعاءٍ وطوافٍ واستغاثةٍ عند القبور، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصحّ إلا لله عزّ وجلّ بما سنه رسوله ﷺ.

ومع أنّ ابن تيمية وابن عبد الوهاب - رحمهما الله وغيرهما وَرَدَ عنهما ما أورده الكاتب من رأي مبتور في عدم تكفير المعيّن؛ فقد بَيَّنَا بما لا يقبل الجدل - قولًا وعملًا - أن من قال أو فعل كُفْرًا وأصرّ عليه بعد بيان الحقّ له كَفَر.

ودعا كلّ منهما في زمنه إلى إزالة ما بناه المبتدعة - بوحي من الشيطان في زمن الفاطميين والعثمانيين ومن بينهما - من الأنصاب

والقباب والمساجد على ما ادّعوا أنّه من آثار الأنبياء والصّالحين، بل وشارك كل منهما وبخاصة الثاني في إزالة ما قَدِر عليه.

٤- مما احتجّ به داعي البدعة - في غير موضعه الصّحيح - حديث مسلم: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلّون في جزيرة العرب**» وهو أقرب ما احتجّ به إلى موضع النّقاش على بُعده عنه؛ فيَأْسُ الشيطان من ذلك دليل على عدم علمه بالغيب مما يحدث بعد انتهاء عصر النبوة وصفوة فقهاء الأمة في القرون المفضّلة، وقد أوّله الأئمة الأُوَل تأويلًا صحيحًا حتى لا يبدو مناقضًا لقول النبيّ ﷺ في أحاديث صحيحة أخرى كمثل حديث الصحيحين: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**» ، وقد عاد ذو الخلصة واضطربت عليه أليات نساء دوس منذ الفاطميين ومن نهج نهجهم، ولم يُهدَم حتى بعث الله دولة التّوحيد والسّنّة تُجدِّد الدّين بالعودة به إلى أصله؛ فهُدِمَ في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد في بداية القرن الثالث عشر، ثم قام بعد زوال دولة آل سعود الأولى، فَهُدِمَ قبيل منتصف القرن الرابع عشر الهجري في عهد الملك عبد العزيز - رحمهم الله جميعًا - وهَدَمَ آل سعود من أمثاله ما لا يحصيه إلّا الله، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

٥- لعل الكاتب يرى من (الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة)، وَصْفَه المدافعين عن التّوحيد والسّنة (بالإرجاف والتّنطّع وادّعاء الغيرة على الدّين) والله الموفق.

تعدّد الجماعات الدينية خروج عن الجماعة

قرأت مقالًا عن الجماعات الإسلامية في مجلة الفرقان الكويتية العدد الخامس شوال ١٤٠٩هـ بتوقيع عبد الرحمن عبد الخالق ما ظننت أن قلمه يتحمّل وِزْرَ تسطيره؛ فقد كان هجومًا شَرِسًا على خيرة مشايخه من علمائنا ودعاتنا على بصيرة بسبب مخالفته لهم في الحكم على الانعزال عن جماعة المسلمين ببيعة خاصة ملزمة أو أمير خاص مطاع أو منهج خاص؛ وَصَفَهم (بالعمى وبِقِصَر النظر وبالجهل بالسنة، وبالفتوى الباطلة والقول الجزاف)، وبأنّهم (أوهموا الناس أن الرسول ﷺ لم يُجابِه باطلًا ولا أقْدَم على خطر، ولا أسّس أمّة ولا جماعة، وأنّه حرّم كل تنظيم وترتيب ودعا الناس ألّا يتدبّروا أمرًا، وأنّ كلًّا منهم يجب أن يكون أمّةً وَحْدَه لا يَلتَزِم بجماعة ولا يطيع رأيًا لغيره، وأن يعيش مع أئمة الفسق والجور على ما يشاؤون ويطيعهم في الطاعة والمعصية) إلخ.

ولعل هذا الكلام أُلقِيَ في خطاب حماسي انفعالي ارتجالي لم ينل حظّه من جانب طالب العلم الداعي إلى الله على بصيرة في شخصية الشيخ/ عبدالرحمن عبدالخالق وإنما هو نَزْغٌ من ماضِيه في الحزبية المبتدعة، وصدق الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾، فكتبت له بما يلي:

١- يصعب أن يُصدّق القارئ أن الكاتب كان يقصد الشيخ عبدالعزيز ابن باز، وعبد الرزاق عفيفي، وعبدالله بن غديان، وعبدالله بن حسن بن قعود، من هيئة كبار العلماء في المملكة المباركة في فتواهم رقم: ١٦٧٤ في ٧/ ١٠/١٣٩٧ بعدم جواز تعدّد الجماعات والأحزاب باسم الدّين، وفيها ما يلي: (لا يجوز أن يتفرّق المسلمون في دينهم شيعًا وأحزابًا.. فإن هذا التفرُّق مما نهى الله عنه وذمَّ من أحدثه أو تابع أهله، وتوعّد فاعليه بالعذاب العظيم.. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ .
أما إن كان وليُّ أمر المسلمين هو الذي نظّمهم ووزّع بينهم أعمال الحياة الدينيّة والدُّنيويّة فهذا مشروع).

وفي فتوى للشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - (جـ٥ ص ٢٠٢ - ٢٠٤) تأكيد لهذه الفتوى، قال: (مما لا شك فيه أن كثرة الفِرق والجماعات في البلد المسلم مما يحرص عليه الشيطان أولًا وأعداء الإسلام من الإنس ثانيًا).

وفي فتوى للشيخ محمد بن عثيمين: (ليس في الكتاب ولا في السنة ما يبيح تعدّد الجماعات والأحزاب [الدينيّة].. ولا شكَّ أن تعدُّد هذه الأحزاب ينافي ما أمر الله به)، الصّحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، إعداد علي أبو لوز ص ١٥٤ .

وفي فتوى للشيخ د. صالح الفوزان (التّفرق [إلى جماعات وأحزاب دينية] ليس من الدِّين لأن الدين أمرنا بأن نكون جماعة واحدة

وأمّة واحدة على عقيدة التوحيد وعلى متابعة الرسول ﷺ) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري، إعداد د. عبدالله الرفاعي ص ٤٤ - ٤٥ .

وفي فتوى للشيخ ناصر الدين الألباني: (التحزّب والتكتّل في جماعات مختلفة المناهج والأساليب ليس من الإسلام في شيء) فتاوى الألباني، جمع عكاشة الطّيبي ص ١٠٦ .

وكلّ كتاب الشيخ د. بكر أبو زيد: (حكم الانتماء للجماعات والأحزاب الإسلامية) تحذير من هذا التّعدّد.

٢- أخطأ الكاتب - تجاوز الله عنا وعنه - في خلطه بين الجمعيات الخاصّة التي تُنشأ لغرض خاصّ (مثل بناء المساجد وحفر الآبار وطباعة الكتب وتوزيعها وجمع وتوزيع الطعام والكساء والمال لسدّ حاجات ذوي الحاجات) وبين الجماعات والأحزاب المتعددة التي يَفْرَحُ كلٌّ منها بما لديه، ويدّعي أنه الأفضل والأكمل، ويسعى إلى غلبة منهجه وكثرة عدده وسلطة قيادته، ويربط الناس بطاعة أميره في المنشط والمكره.

٣- أخطأ الكاتب عفا الله عنّا وعنه في ظنّه أن ما يسمّيه (الصحوة الإسلامية والبعث الجديد أثر منن آثار الجماعات [والأحزاب] الإسلامية)، وما أبعد هذا الظنّ من الحقيقة والواقع؛ فالحق أن يقظة الجماعات والأحزاب من سُباتِها وتزايد عددها في العقدين الأخيرين إنما هو أثرٌ من آثار (الصّحوة الدينيّة) لا العكس.

ولعلّه لا يَعْلم أن ما سُمّي بالصّحوة الإسلامية جزء من تحرّك دينيّ عام سبق إليه الوثنيّون من الهندوس بفلسفاتهم وتصوّفهم؛ فتلَقّفه المترفونَ في أمريكا وأوربا، ثم تلقّفه النصارى بنشر ما سُمّي بالولادة من جديد، ثم تلقّفته الجماعات والأحزاب المنتمية للإسلام كعادتها في التنافس على ما يجذب الناس إليها ويكثّر سوادها.

فُسِّر ذلك في البلاد العربية بهزيمة عام ٦٧ وفَشَل المنحى الاشتراكي القومي، وفُسِّر في غيرها بفشل الرخاء المادي في إشباع تطلّع البشر إلى السعادة، وادّعت كل جماعة أو فرقة مبتدعة بأنها السبب الأول والأخير، والحقيقة أن الأمر كله لله ومنه بلا سبب ظاهر؛ قد يكون مرحلة تمهيدية لأمر يريده الله بهذا العالم، وهو على كل حال فتنة وابتلاء من الله لخير جماعة المسلمين الموحّدين وشر الفِرَق والجماعات والأحزاب الخارجة عنها.

٤- ولم يَأمر أحد من علمائنا ودعاتنا على بصيرة (بالطاعة في المعصية) ولم يَنْه أحد منهم عن (بناء المساجد والإغاثة وطبع الكتب وتوزيعها) كما ادّعيتم، بل هم السابقون إليه، ولكنهم ينهون عن الانعزال عن جماعة المسلمين باسم أو مركز أو بيعة أو أمير، أو منهج للعبادة أو الدعوة لم يأذن به الله، وهذا هو القاسم المشترك بين الجماعات والأحزاب والفرق الإسلامية في أغلب الأحوال، وبِمِثْل هذا تَفَرَّق المسلمون شِيَعا وأحزابًا ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ ، وكل فرد مُنْتَمٍ إلى

جماعة أو حزب أو فرقة أو طائفة خاصّة فهو شِيْعَةٌ لمؤسّسها أو قادتها أو منهاجها المبتدع.

٨- وهذه البلاد المباركة تميّزت على جميع بلاد المسلمين - منذ نهاية القرون المفضلة - بتأسيسها من أوّل يوم على التعاون بين العلماء والأمراء على الدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة الشرك والبدعة ونشر العلم وتشجيع الدعوة على منهاج النبوة المعصومة.

٩- وقد (أقرّ النبي ﷺ اسم الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار) كما ذكرتم: (وكانت لهم راياتهم في الجهاد) تحت إمرة رسول الله ﷺ أو نائبه، ولكن هل تصح المقارنة بين الاسم الأصلي المتَّبع والاسم المبتدع الانعزالي وبين الراية المنتمية إلى راية الجماعة والراية المنعزلة عنها محاولة الظهور عليها وانتزاع سلطتها؟

١٠- ولا يَصِحُّ الاستدلال ولا المقارنة بين (تعدّد العلماء وتعدّد الجماعات) كما فعلتم؛ فشرع الله يأمر بالأوّل وينهى عن الثاني.

١١- وإذا كان أخي الشيخ/ عبدالرحمن - الذي كنت أعرفه ولله الحمد والمنّة بالعلم والعمل، بظاهر تَرْكِه الحزبية - هو الذي كتب هذا المقال فعلًا، فلا شكَّ أن السّبب نزغ من الشيطان، فليستعذ بالله منه ولْيُعِد النظر فيما كتب.

١٢- ولكني لا أزال أرجو الله أن يكون الكاتب حِزْبِيًّا أعماه التّعصب والجهل فَهَبَط إلى حضيض التعدّي على خيرة علماء المسلمين ووصْفِهم بالعمى والجهل والتعصب والحرص الكاذب على

الدّين، والافتراء عليهم - في محاولة للصعود على أكتفاهم - بأنهم (حرّموا ما أوجبه الله وألزم به عباده من التّواصي بالحقّ والصّبر والتّعاون على البرّ والتّقوى والاعتصام بحبل الله ودينه).

وعلى أيّ حال فإني أختم بالدعاء أن يعفو الله عنا وعن الكاتب ويهدينا ويهديه لأقرب من هذا رشدًا، وصلى الله وسلم على محمد وآله ومتبعي سنته.



داء الشقاق من القدر الكوني

كتبت لبعض دعاة التوحيد والسّنّة بعد ظهور الشقاق بينهم ما يلي:

الحمد لله الذي اصطفانا للثّبات على منهاج النّبوة في الدِّين والدّعوة الذي ارتضاه الله تعالى أساسا لوحدة هذه الأمّة على التّوحيد والسنة، وجنبنا الانتماء للأسماء والمناهج والشّعارات المُحْدَثة التي زيّنها الشيطان للأكثرين (الأقلين) من الدعاة سببًا للتّفرق في الدّين، ومعصيّةً لأمر الله بالاعتصام بحبله جميعًا ونهيه عن التفرّق والاختلاف في دينه.

ورأيي فيما حدث من خلاف بين المنتمين لمنهاج السّلف الصالح وعلاجه يتلخّص فيما يلي:

أ- «**كل ابن آدم خطّاء**» والكمال لله وحده، والعصمة من الخطأ (في أداء شعائر الله أو تبليغها) لرسل الله وحدهم.

ويزيد عدد الأخطاء الظّاهرة من قول ابن آدم وعمله بزيادة نشاطه وإنتاجه وكثرة قوله وعمله، وعِلْم ما خفي لله وحده.

ب- وتأتي المبالغة في تكبير الأخطاء ونشرها بسبب الجهل أو الحسد أو العناد، أو القناعة من العلم والعمل بحبّ الجدل: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾

جـ- والشقاق والمنازعة من قدر الله الكوني على عباده، لا يحبه الله ولا يرضاه لهم بشرعه. ولم يُعطَ رسول الله ﷺ سُؤله ألَّا يجعل بأس هذه الأمة بينهم إلا ما شاء الله: **«ولكن في التحريش بينهم»**. وانشقّت فِرَقٌ وثنيَّة عن فرق وثنيّة كالبوذية عن الهندوسية وافترق المسلمون إلى سُنَّةٍ وشيعة ومتصوّفة، وافترق كلٌّ من هذه الفرق إلى فرق كما افترق النّصارى واليهود قبلهم من بعدما جاءتهم البيّنات بغيًا بينهم.

د- ولا تعْجَبْ لاختلاف أهل الأهواء؛ فالوحي وحده يُوحِّد لأنه اليقين من ربّ العالمين، والفكر يُفرِّق لتعدّد مصادره: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ولأنّه الظن: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، ومنهاج النبوّة من الوحي يجتمع عليه كلّ مسلم، ومناهج الفكر الموصوف بالإسلامي تُفرِّق المسلمين إلى فرقٍ وأحزاب بعددها.

هـ- ولكن العجب من اختلاف أهل الحديث مع وحدة منهجهم ووحدة مرجعهم: كتاب الله وسنة رسوله وفقه الأئمة الأُوَل في نصوصهما. ولا شكَّ أنّه نزغٌ من الشيطان ليصدّ عن الصّراط المستقيم، ويأبى الله إلّا أن يتم نوره.

و- وكان الخَطْب أهون عندما تصدّى القاعدون من مختلف الفِرَق للقائمين على الدّعوة إلى منهاج النبوّة حسدًا من عند أنفسهم، وكراهيةً لفضل الله عليهم وتمييزه لهم، أو جهلًا وتلبيسًا وتسويلًا من الشيطان ومن الأنفس الأمّارة بالسّوء الحاكمة بالهوى.

ز- ولكنّ العدوى انتقلت إلى بعض الدّعاة إلى الله على بصيرة فانشغلوا عن هذه الوظيفة العظيمة التي يصطفي لها الله خير خلقه بثلب إخوانهم في الدين والدعوة والمنهاج، وتَصَيُّد أخطائهم ونشرها، وجَرِّهم إلى الانشغال عن الدّعوة بالرّد عليهم وتبرئة (أو تزكية) أنفسهم.

ح- ولا أرى علاجًا ناجعًا لهذا المرض العضال غير:

١- تَدَبُّر المعتدي وعمله بقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾.

٢- تَدَبُّر المُعْتَدَى عليه وعمله بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ۝ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

٣- نبذ الانتماء (وشدّ الوسط في لفظ ابن تيمية) لبشر غير محمد ﷺ ولا لجماعة غير جماعة المسلمين، ولا لحزب غير حزب الله المفلحين، ولا لمنهاج غير الوحي والفقه فيه.

٤- النّصيحة(لا الفضيحة) لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم، والدّعوة لدين الله الحقّ على منهاج النبوّة بالحكمة (وهي الوحي) والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

٥- الموالاة في صحّة الاعتقاد والاتّباع، والمعاداة في فساد الاعتقاد والابتداع ومعاملة النّاس (وبخاصّة أهل الحديث) بما نحبّ أن يعاملونا به لا بمثل ما يعاملوننا به: **«وخيرهما البادئ بالسلام»**، ومِنْ شُكر العبد نعمة الله عليه بالإيمان والاتباع والعلم وحسن الخُلُق أن يحرص على الاحتفاظ بهذه النعم والتّعامل بها مع الجميع، وألّا يتنازل عن شيء منها في مواجهة من حُرِم بعضها أو كلّها.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه.

٢٩/٦/١٤٢٣هـ



رأس الدعوة إلى الفتنة

أ- في رمضان الماضي صرّح وزير الداخليّة لجريدة السياسة الكويتية: (بأن مشكلاتنا كلّها جاءت من [حزب] الإخوان المسلمين، بعد أن لجأوا إلى المملكة فاستضافتهم وحَمَتْهم وأوجدت لهم سبل العمل، ولكنهم أخذوا يجنّدون النّاس وينشئون التّيارات ويُسِيئون إلى المملكة، والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾، بل سبّبوا المشاكل في كل عالمنا العربي والإسلامي).

وفي تصريح لاحق (للجريدة نفسها) أكّد سمّوه أن تاريخ الإخوان المسلمين يدلّ على أنّ(قصدهم القفز إلى الحكم وليس الدعوة إلى شرع الله وخير الإسلام والمسلمين).

ب- وهذه الدعوى يُؤَيِّدها أن من أهمّ أهداف الحِزْب المُعْلَنَة: (استخلاص الحُكْم من أي حكومة لا تنفّذ أمر الله، بعد أن تنتشر مبادئ الإخوان وتسود، وبعد أن تتوفّر أسباب القوة: الإيمان ثم الوحدة ثم السّلاح) مجموعة رسائل حسن البنّا، طبع المؤسّسة الإسلامية ص ١٦٩ .

وكلّ الحكومات عند قادته لا تنفّذ أمر الله: (إنه ليست على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التّعامل فيه هي شريعة الله) في ظلال القرآن لسيّد قطب ص ٢١٢٢ طبع دار الشروق.

وبخاصّة في سياسة الحُكْم فقد حكم عليها سيّد قطب بأنها (خرجت نهائيًا من دائرة الإسلام منذ عهد المنصور العبّاسي؛ بسبب الثراء الذي بدأ بداية صغيرة في عهد عمر وفشا فُشُوًّا ذريعًا في عهد عثمان) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٦٨ - ١٧٥ طبع دار الشروق.

ويؤيّد الدعوى بأن هذا الحزب (يهدف إلى القفز إلى الحكم لا إلى الدعوة إلى شرع الله): مسارعة الحزب إلى تأييد ثورة الخميني، ثم تأييد احتلال حزب البعث العراقي (وطاغوته) الكويت، لعلّه يُعْطى جائزته.

جـ- والحزب بلا شكّ لا يدعو إلى شرع الله بدليل:

١- تعريف حسن البنّا الحركة بأنها: (دعوة سلفيّة وطريقة سنّيّة وحقيقة صوفيّة وهيئة سياسيّة وجماعة رياضيّة ورابطة علميّة ثقافيّة وشركة اقتصاديّة وفكرة اجتماعية) مجموعة رسائله ص ١٥٦ - ١٥٧؛ المهمّ: اجتذاب الجميع لاستخلاص الحكم من أيدي وُلاتِه إلى أيدي القائمين على الحزب.

٢- مناقضة فكر مُؤسِّس الحزب شرع الله مناقضة صريحة لما ثبت في الصّحيحين عن عدد ونوع الموبقات:

فهي في فكر حسن البنّا: (الاستعمار، الخلافات السّياسية والشخصية والمذهبية، الرّبا، الشركات الأجنبيّة، التّقليد الغربي، القوانين الوضعيّة، الإلحاد والفوضى الفكريّة، الشهوات والإباحية،

وفساد الخلق وإهمال الفضائل النَّفسيَّة، ضعف القيادة وفقدان المنهاج العلمية) مذكّرات الدعوة والداعية ص ٢٩٥ - ٢٩ .

وهي في الوحي من حديث من لا ينطق عن الفكر والهوى ﷺ: «الشرك بالله، والسِّحْر؛ وقتل النفس التي حرم الله إلَّا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتّولي يوم الزّحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» [متفق عليه]؛ فلم يوافق الفِكْرُ الوَحْي إلّا في الرّبا.

٣- مناقضة فكر الحزب شرع الله مناقضة صريحة لمحكم آيات الله عن عدد ونوع أهمّ وصايا الخالق للمخلوق.

فهي وصايا عشر في فكر حسن البنّا: تجاوز الله عنا وعنه: (قُمْ إلى الصلاة متى سمعت النّداء، أتْل القرآن أو طالع أو استمع أو اذكر الله، اجتهد أن تتكلّم العربيّة الفصحى فإن ذلك من تعاليم الإسلام، لا تكثر الجدل في أيّ شأن، لا تكثر الضّحك، لا تمزح، لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السّامع، تجنّب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات، تعرّف إلى من تلقاه من إخوانك، الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته، وإن كانت لك مهمّة فأوجز في قضائها).

وهي في وحي الله من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ﴾ ، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا

بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾، وختمها الله تعالى بالأمر باتّباع شريعة الوحي والنّهي عن اتباع سُبُل الفكر والهوى؛ فهي سبب التّفرق والضّلال، فقال في سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وقال في سورة الإسراء بعد ذكر هذه الوصايا نفسها: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾.

٤- ومع أن حسن البنّا نقل عدد الوصايا من رواية اليهود عن التّوراة (المحرّفة) فإن الرّواية اليهودية كانت أقرب إلى شرع الله من فكره، فقد بَدَأت بتحريم عبادة غير الله، وثنّتْ بتحريم صُنْع التماثيل والسجود لها، وبيّنَتْ تحريم الزّنى وتحريم السّرقة وتحريم القتل، وأمَرَتْ ببرّ الوالدين، وهذه ستٌّ موافِقَةٌ لشرع الله لم يوفّق البنّا - رحمه الله - لأيٍّ منها.

٥- مناقضة فكر الحزب شرع الله في كل رسالاته (ومع كل رسله) بإهماله دائمًا نشر توحيد العبادة لله وحده والسنة ومحاربة الشرك الأكبر بالمقامات والمزارات والمشاهد وما دونه من البدع، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

د- وقد بدأت مرحلة العُنْف الإخواني في مناهضة السّلطة الحاكمة باغتيال رئيس وزراء مصر مقابل اغتيال حسن البنّا، ثم جاء سيّد قطب تجاوز الله عنّا وعنه - ليقود العنف الفكري والعملي:

١- ظنّ أن وراثة الحكم (طعنة في قلب الإسلام ونظامه واتجاهه) ص ١٥٥ معركة الإسلام والرأسماليّة طبع دار الشروق، مع أن سليمان ورث المُلْك من أبيه داود عليهما السلام، وورث يزيد (التابعي) المُلْك من أبيه معاوية (الصّحابي، كاتب الوحي، المحدِّث، الفقيه، الفاتح العظيم)، وأن أبا بكر عَهِد بالمُلْك من بعده لعمر - رضي الله عنهما - وتكرّر العهد بالملك ووراثة الحكم في القرون المفضّلة، وكان من خير نتائجه : عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله.

٢- وظنّ سيّد أنّ تغيير نظام الحكم هو طريق الإصلاح فحَرَّضَ الشعب على الثورة: (الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيتها بيدها. . إن أحدًا لن يقدّم لهذه الجماهير عونًا إلّا أنفسها، فعليها أن تُعنى بأمرها ولا تتطلّع إلى معونة أخرى) المعركة ص ١١٣ .

٣- وسنّ للثورة طريق الاشتراكية المخالفة لشرع الله: (للدولة أن تنتزع الملكيّات والثّروات جميعًا وتعيد توزيعها على أساس جديد ولو

كانت هذه الملكيّات قد قامت على أُسُسٍ شرعية ونَمَتْ بوسائل شرعيّة) المعركة ص ٤٤ . و(أباح للدّولة أن تأخذ نسبة من الرّبح أو من رأس المال) المعركة ص ١٢٣ .

وكان لسيّد ما تمنّى من تغيير نظام الحكم ونزع الملكيّات وتأميم الثروات وتوزيع الأراضي الزّراعيّة الخاصّة على من لا يملكها، ولم يتحقق الإصلاح بل تمّ تأميم الفقر والظلم.

وبعد أن (قرّبه قادة الثورة وعمل معهم ١٢ ساعة يوميًا في بداية الثورة، وجعلوه موضع ثقتهم ورشّحوه لمناصب هامّة وتشاوروا معه في مِثل: مسائل العمّال، والحركات الشيوعيّة التخريبيّة بينهم، وفترة الانتقال، والدّستور، واستغرق في العمل معهم حتى فبراير ١٩٥٣م؛ بدأ الخلاف بينهم [إداريًا لا شرعيًا] حول هيئة التحرير، ثم انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين، وانتهى الأمر بسجنه ومحاكمته وشنقه لاعترافه بالتآمر لقتل رئيس الجمهوريّة ورئيس الوزراء وثلاثة من كبار المسؤولين، وتفجير محطّة الكهرباء، ونَسْفِ بعض الجسور دفاعًا عن الحزب وأعضائه) كما يقول في مذكرة التحقيق التي نشرها أنصاره في العدد الثاني وما بعده من جريدة (المسلمون)، وطبعها أنصاره في الشركة السعودية للأبحاث والتّسويق ضمن سلسلة كتاب الشرق الأوسط بعنوان: (لماذا أعدموني) ص٥٠ - ٦١، وليس السّبب ما أشاعه الحزب عن مطالبته بالحكم بما أنزل الله، فهو الذي قاد الثورة للاشتراكيّة.

هـ- ونُتيجة لِفِكْر سيدّ قطب المكفّر لجميع الأمة بالكبائر، بل الصّغائر، بل المباحات، وتحريضه أتباعه على اعتزال النّاس وهجر مساجدهم والانعزال في بيوتهم وفكرهم، واعتقاد أنهم وحدهم على الحق وأن غيرهم مرتدّون جاهليّون. (انظر فكر سيد قطب بين رأيين طبع ونشر مكتبة السنّة في الخبر عام ١٤٢٢هـ)؛ بدأت الحركة الأم تفقد أبناءها الذين ضاقوا بِنَفَسِها الطويل فانعزلوا تحت عناوين جديدة: (التحرير، التكفير والهجرة، والجهاد، السروريين، القطبيين).

و- أما الفتنة الحاضرة فهي نتيجة لهذا كلّه، وأساسها: (المناجزة لا المصابرة).

وقد نشرتْ جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٧٩٧ بتاريخ ١٩/ ٩/ ١٤٢٢هـ اعترافًا صريحًا من أكبر قادة ومفكري الفتنة الحاضرة (أيمن الظواهري) بأن فكر سيد قطب هو محرّك الفتنة وبخاصة في كتابه الدّيناميت (معالم في الطريق) وكتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، وهذا حقٌّ ينقصه ذِكْر كتابه: (في ظلال القرآن) وكتابه: (معركة الإسلام والرأسمالية)، وكانت هذه المملكة المباركة السّوق الأولى والأهمّ لكتب سيّد قطب، يقوم على نشرها أخوه محمد قطب (المقيم في مكة المباركة) مطبوعة في دار الشّروق في مصر ولبنان.

ز- وبعد أن كانت كتب سيّد (وبخاصة في الظّلال) تُطْبع وتُوَزّع من قِبَل بعض المؤسسات الحكومية وتدرّس في بعض معاهد التعليم (ومنها: معهد الأئمة والدّعاة التابع للرّابطة في مكة)، وتوضع في

مكتبات المدارس والمساجد، بل تذاع مقتطفات منها في الإذاعة (ذَكَر سيّد ذلك في مذكّرته للمحققين ص ٧٧)؛ بدأ يزهر خطر ذلك واتُّخِذَتْ بعض الإجراءات التي قد تتلافي بعض هذا الخطر، ولكنَّ فكر سيّد ولو لم يُنْسب إليه يُسَيْطِر على أكثر الخطباء والمعلمين والدعاة، وعلى بعض الصّحفيين والمثقّفين والمفكّرين والعاملين في الإذاعة والتلفزيون ومن ذلك:

١- ادّعاء أن الحرب على الإرهاب حرب على الإسلام، والحقّ أنها حرب على المسلمين المشتركين في الإرهاب، وعلى غير المسلمين كما حورب ماركوس من قبل، وكما حورب البعث العراقي الملحد، والشيعة الإيرانيّون، والصّرب النصارى، والشّيوعيون، وغيرهم.

٢- تأكيد الأئمة في دعاء القنوت (والخطباء يوم الجمعة) أن المسلمين يواجهون اضطهادًا في الدّين، وهذه فرية لا وجود لها اليوم في بلد مسلم ولا كافر، وأقرب شيء إلى الاضطهاد بعد أصحاب الأخدود ومشركي قريش وحكّام إسبانيا بعد زوال حكم المسلمين: مَنْع أنور خوجه (الألباني الشّيوعي) الصّلاة في المساجد والكنائس والمعابد، ومَنْع البعث العراقي دروس الدّين للجميع في المساجد، ثم للسلفيّين خاصّة (بعد غزو الكويت واحتلالها ثم تحريرها)، لأنهم بفضل الله يُعْزَون للسّعودية. أما المساجد في أوربا وأمريكا (بل وإسرائيل) فمفتوحة ليلًا ونهارًا.

٣- وَصْف المنتحرين بأنهم شهداء مخالفةً لشرع الله ولِواقع حالهم؛ فلا يجوز أن يقال فلان شهيد لمن لم يشهد له (بعينه) الوحي بذلك؛ ولأنهم يقاتلون قولًا وفعلًا للحزب والأرض والهويّة والقومية لا «**لتكون كلمة الله هي العليا**» غالبًا.

وقى الله بلاد التوحيد والسنة شر الفتن ما ظهر منها وما بطن وجميع بلاد المسلمين، ردّها على دينه ردًّا جميلًا.

٢٠/٨/١٤٢٤هـ



الدعوة بالجهل والابتداع

تلقيت سؤالًا من الشيخ راشد المرّي من قطر بتاريخ ١٤١١/٩/١٩ عن جماعة التّبليغ، فشكرت الله، ثم شكرت أخي السائل على اهتمامه بصحة المنهج في الدعوة إلى الله، وهذا ما يسّر الله لي من الجواب:

١- تعلمون أن الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لا تكون إلّا وفق شرع الله في كتابه أو سنة رسوله ﷺ.

٢- الدّعوة على منهج التبليغ (وقد عايشتها تسع سنوات) ليست موافقة لشرع الله في أسلوبها ولا محتواها.

فإن ترتيب (الخروج) ثلاثة أيام وأربعين يومًا وأربعة أشهر، وتحديد موضوع الدعوة بالكلام في (الصفات السّتّ)، ثم قراءة السّور العشر القصار بعد صلاة كل فجر، والتّعريف بالجماعة بعد صلاة كلّ ظهر، والدعوة إلى (الجولة) بعد صلاة كلّ عصر، وبيان تفصيل الصفات السّتّ بعد صلاة كلّ مغرب، والقراءة في (حياة الصّحابة للكاندهلوي) بعد صلاة كلّ عشاء، وتوزيع الجماعة بين جالسٍ للذكر وقارئ لرياض الصالحين، ودليل ومتكلّم في الجولة، وتحديد الكلمات في الجولة والإعلان، كل هذا وأمثاله تحديد وإلزام والتزام لم يجئ به شرع الله ولم يُعرف عن السّلف الصالح.. هذا في الأسلوب.

وفي المحتوى تخالف جماعة التبليغ رسالة الله لجميع رسله من نوح إلى محمد عليهم الصّلاة والسلام ولجميع عباده: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ .

إفراد الله توحيده بالعبودية أهم وأوّل قضية في محتوى الدّعوة لكلّ رسول، قبل الصلاة والزكاة والحاكمية والآداب والأخلاق، وجماعة التبليغ (مثل الجماعات الإسلامية المنظّمة الأخرى) لا تضع هذه القضيّة في أوّلياتها، بل لا تُعِيْرها أيّ اهتمام؛ بل هي لا تَعْرف ولا تُعرِّف بالكلمة الطيبة: «لا إله إلا الله» بمعناها الصحيح: أن (لا معبود بحقٍّ إلا الله)، وإنما (إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله بأنه الخالق الرّزاق المحيي المميت)، ولو كان هذا هو معناها لما ردّها مشركوا قريش، وقد قال الله فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ .

٣- لِخُرُوج منهج التبليغ في الدعوة عن شرع الله لجميع رسله، وعن سنة رسول الله ﷺ لَمْ تَسْعَ الجماعة في إصلاح عقيدة جيرانها من عبّاد أوثان القبور في منطقة أولياء [الشيطان] من [نظام الدين] بدلهي، وهي تقيم بينهم منذ بدايتها قبل ستّين سنة ملاصقة لأوثانهم، بل لم تحاول إصلاح عقيدة أتباعها وجميع مشايخها من المتصوّفة،

وتظهر روائح فساد المعتقد من (بياناتهم) جميعًا، لأنها تقوم على القصص والرؤى والخرافات لا على الدّليل الصحيح من الكتاب والسّنّة بِفَهم علماء الأمة الأُوَل.

وليس أظهر في الأدلة على ذلك من وجود القبور في مسجدهم الرئيس في (دلهي)، وبجوار مسجدهم الرئيس في (رائي وند) بالباكستان، وفي مسجدهم الرّئيس في السودان.

٤- تعدّد الجماعات الإسلامية - في ذاته - خروج عن جماعة المسلمين الواحدة؛ بتميّزها باسمٍ، أو أميرٍ، أو مركزٍ، أو - أهم من كل ذلك - بمنهجٍ بشري، وَبِمِثْلِ هذا (التجمع) تفرّق المسلمون كما تفرّق مَن قَبْلهم شيعًا وأحزابًا ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾.

٥- كون جماعة التبليغ (أكثر الجماعات تَبَعِيّة) - كما ذكرتم - لا يعطيها أيّ ميزة شرعيّة، بل إن كثرة (التّبعيّة) دليل غالب على الضّلال الذي لا تقاومه النفس ولا يقاومه الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.

ولا يصحّ اتخاذ العدد دليلًا على أي حال؛ فإن النبيّ «**يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان ويأتي النبي وليس معه أحد**».

وأوّل أولو العزم من الرّسل نوح - عليه الصلاة والسلام - ﴿وَمَآ

ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بعد أن لبث في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.

٦- و(النشاط في الحركة والدّعوة) - كما ذكرتم - ليس دليلًا على صحة المنهج أيضًا؛ فأهل الضّلال - عمومًا - أنشط من أهل الحق؛ لأن الشيطان والنفس الأمارة بالسّوء إلا ما رحم ربّي يُزَيِّنان الباطل ويثبطان عن الحق. وقد قال رسول الله ﷺ: لا«وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»، وهي الطائفة التي لا تزال على الحق الذي أُنْزِلَ به الوحي منصورة لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم (وإن كثروا).

وممّن عدّ الجماعات والأحزاب الدّينيّة فِرَقًا: الشيخ د. بكر أبو زيد في كتابه الفريد (حكم الانتماء إلى الجماعات والأحزاب الإسلامية).

٧- أمّا (إن لهم فضلًا في هداية بعض الناس) فلا شكّ أن المنهج الفاسد يلقى أقل مقاومةٍ من النفس والشيطان؛ وعلى هذا يلقى المتصوّفة والشيعة قبولًا أكثر من أهل السنة.. وإذا ضَمِنَت النفس والشيطان فساد المعتقد والمنهج فلا أهمية لصلاح غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

ولقد لمست أثناء خروجي مع الجماعة كثرة تساهلها مثل بقية الجماعات الإسلامية في المعتقد والتّشدّد فيما دونه ، خلاف شرع

الـلـه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ ، ويكفي النفس والشيطان أن يطرأ اللّين في المعتقد على جزيرة العرب - ملاذه الوحيد اليوم - بأي مقابل.

ثم إن نشاط جماعة التبليغ - وغيرها من الفِرَق والأحزاب في العِقْدين الماضيين - نتيجةٌ لا سببٌ لما يُسَمّى الصّحوة ، وقد قضت أربعين سنة في الركود والخمول ثم نشطت مع الجميع، والفضل لله وحده في الاتجاه الدّيني الحاضر صالحًا أو طالحًا وإن ادّعاه كلٌّ لحزبه.

٨- أما (إن بعض العلماء في السعودية أو غيرها قد أيّد الجماعة)؛ فلا يُعرف عالِمٌ يُعتدّ به خرج مع الجماعة ثم زكّاها، وإنما يؤخذ بعض العلماء بتزكية بعض أفرادها لها (ومبالغتهم في ذكر إنجازها وستر عيوبها) فيصدر منهم تأييد لها.

وقد حذّر منها عدد أكبر من العلماء ، ومنهم المشايخ حمود التّويجري، وعبدالرزاق عفيفي، وصالح اللحيدان، وعبدالله الغديان، وصالح الفوزان، من هيئة كبار العلماء [١]، وحذّر منهم كثير من طلاب العلم الذين رافقوهم شهورًا وأعوامًا وانقطعوا لدعوتهم حتى

---

(١) وكذلك حذّر من جهلهم بالعقيدة الشّيخ عبدالعزيز بن باز في مجموع فتاواه جـ٨ ص٣٣١، وأفتى (بعدم جواز الخروج معهم إلّا لطالب علم متمكّن من علم الاعتقاد لإصلاحهم) في آخر فتاواه عنهم عام ١٤١٤هـ وأوصى بحذف أيّ رسالةٍ صدرت باسمه تأييدًا لهم.

أَمِنَ مشايُخهم منهم فأظهروا الجانب الخفيّ من دعوتهم وبدعهم، وبايعوهم على التّصوف، ثم تبرّأ الذين اتّبَعُوا من الذي اتُّبِعُوا ومنهم الشيخ عبّاس الشرقاوي، وأَطْلَعوا الناس على النصوص الشركية والخرافيّة والبدعيّة في مناهجهم وبخاصة (تبليغي نصاب)، وقد كنتُ وقعتُ في تأييدهم وتزكيتهم لدى العلماء ودافعت عنهم، حتى اطّلعت على ما خفي عليَّ من فساد الجماعة، هدانا الله وإياهم لأقرب من هذا رشدًا.

❁ ❁ ❁

الدعوة إلى الله أهم وظائف المعلم

كتب صحفيٌّ جاهل بشرع الله في العدد (٩٢١) من جريدة الوطن بتاريخ ٦/ ٢/ ١٤٢٤هـ داعيًا إلى إقصاء الدعوة إلى الله عن المدارس، لأنَّ وجودها (سبب مهمّ في تدنّي مستوى التعليم) كما يقول، وإنِّي:

١- أوافقه في أن (كثيرًا من المعلمين الدعاة ينقصهم الفقه)؛ لأن بضاعتهم لا تتجاوز ما سُمِّي - خطأً - بالفكر الإسلامي، وهو شيء آخر غير الفقه في الدِّين الذي يقوم على الوحي؛ فهو وحده اليقين من ربِّ العالمين، ولا يجوز نسبة شيء إلى الإسلام إلا ما تضمَّنه الوحي والفقه فيه.

٢- وأوافقه في أن (مصطلح داعية) الخطأ أيضًا، فقد وصف الله خير دعاته: نبيّه محمّدا ﷺ بقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾، مذكرًا غير مؤنث - هذا المصطلح صار يطلق على الواعظين القصّاص والمفكرين والخطباء، وأكثرهم لا يستحقونه، إضافة إلى مصطلح العلامة والإمام إلخ.. وهذه خطيئة وسائل الإعلام قبل غيرها.

٣- وأوافقه في أن (الدعوة الفكرية غير الشرعيّة أفسدت وزاحمت أمر التعليم بل أفسدت وزاحمت أمر الدين الحق) في خير أرض الله وفي خير أهله فلم تنتج غير الفتنة لقلّة فقه أكثر القائمين على الجمعيّات المدرسيّة الدينيّة والمراكز الصّيفية والرحلات وانشغالهم بمنهاجها الضّالة عن منهاج النبوّة.

٤- ولكني أخالفه في ظنّه أن (المعلم لا يجوز له دعوة تلاميذه) إلى الله: (كأننا لسنا مجتمعًا مُسْلِمًا بالفطرة، أو كأن الإسلام الذي نحن عليه ليس كافيًا) كما قال؛ فقد كان رسول الله ﷺ يدعو آل بيته وكبار صحابته والمسلمين عامّة، ويحذّرهم من الابتداع في الدّين وأشنعه الشرك بالله في عبادته، وأكبر أبوابه منذ قوم نوح حتى تقوم الساعة: المزارات والمشاهد والمقامات والأضرحة، وهي أوثان الجاهلية الأولى والحاضرة والمقبلة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ .

وقد ثبت في الصحيحين معًا وفي كلٍّ منهما منفردًا، وفي مسند الإمام أحمد - رحمهم الله جميعًا - أن النبيّ ﷺ استمرّ في دعوة خيار المسلمين وصفوتهم حتى الساعة الأخيرة من حياته، وأن آخر ما أوصاهم به سدّ ذرائع الشرك في مثل قول عائشة - رضي الله عنها - أنَّ رسول الله ﷺ لما حَضَرَتْه الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه وهو يقول: «**لعنة الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» ، قالت: (يحذّر مثل الذي صنعوا)- [متفق عليه]، ومثل قولها - رضي الله عنها -: أن النبي ﷺ رفع رأسه [في مرض موته] فقال: [عن مشركي النّصارى]: «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوّروا تلك الصّور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**» [متفق عليه].

ولا يكاد بلد مسلم - خارج هذه البلاد والدّولة المباركة - يخلو

من أوثان المقامات والمزارات؛ يختلف ويتقاتل المسلمون (أو يتّفقون) عليها مع اليهود والنّصارى وفِرَق الضّلال الأخرى. وكانت أمثالها موجودة في هذه الأرض المباركة - شرقها وغربها وشمالها وجنوبها - حتى بعث الله هذه الدَّولة المباركة لتجديد دينه بالعودة له إلى أصله؛ فأزالتها الدّولة الأولى، ثم عادت تحت راية (الخرافة العثمانية) حتى أزالتها الدّولة الحاضرة حفظها الله قدوة صالحة.

وعن المستقبل قال النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تضطرب ألَيَات نساء دوس على ذي الخَلَصَة»** [متفق عليه] وهو وثن في تبالة (قرب بِيْشَة) وفي (جبل دَوْس) من (زَهْران)، وقد هُدم في زمن النبي ﷺ ثمن قام فلم يُهدم حتى هدمته هذه الدولة المباركة (مرَّتين) مع أمثاله.

وقال النبي ﷺ: **«لا يذهب اللَّيل والنّهار حتى تُعبد اللَّات والعزّى»** [رواه مسلم].

٥- وأخالفه في ظنّه أن النّهي عن زيارة القبور للنِّساء يلزم منه عدم تذكيرهن الموت، فقد كان النبي ﷺ يذكّر خيار هذه الأمة الموت رجالهم ونسائهم، صغارهم وكبارهم، ويأمرهم وينهاهم في كل خُطبِه يوم الجمعة (وهي أهمُّ مَثِلِ وقُدْوَةٍ للدعوة والدعاة قبل أن يحوّلها المبتدعة إلى ملحقٍ لوسائل الإعلام)، وقالت أم هشام بنت حارثة بن النّعمان: لقد كان تنّورنا وتنّور رسول الله ﷺ واحدًا سَنَتَيْن أو سَنَةً وبعض سَنَة وما أخذت ﴿قٓۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾، إلَّا عن

لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كلَّ جمعة على المنبر إذا خطب الناس» [رواه مسلم في صحيحه].

٦- ولكني أوافقه في أنَّ (من أكبر أخطاء الدُّعاة المفكرين غير الفقهاء: صرف الاهتمام إلى المهمّ - أو عدم المهم - عن الأهم)؛ فَيُشغِلون النَّاس بما (فوقه أو تحته خطّ كما قال) بل بالنوافل عن الفرائض وبالصّغائر عن الكبائر، بل بالفتنة والتكفير والجهاد الوهمي عن نشر توحيد الله تعالى وسنة رسوله والتحذير من الشرك والابتداع.

٧- وأهم وظائف المعلم: الدعوة على الله تعالى على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله، على منهاج النبوة المعصومة (لا على المناهج القاصرة لحسن البنّا أو سيّد قطب أو النّبهاني أو محمد إلياس أو أي بشر غير معصوم) وبخاصّة في الدّولة الوحيدة التي أُسّست من أول يوم على منهاج النّبوّة منذ القرون المفضّلة - أدامها الله على صراطه المستقيم - مميزة بشرعه، هادية مهتدية.

٨- (إحاطة الدّعوة والدُّعاة بنا من كل جانب) كما يقول الكاتب: منقبة ولا منقصة، وتمييزٌ من الله الدولة والبلاد وأهلها، بل هي ميزتها الأولى والعظمى والوحيدة - ثبَّتها الله على ذلك - ولكن لابد من اختيار القائمين على الدعوة في مؤسّسات التعليم العامّة والخاصّة على أُسُس صحيحة من العلم بشرع الله والفقه في دينه والتزام منهاج نبيّه، والموازنة بين الأولّيات؛ فلا إفراط ولا تفريط، والله ولي التوفيق.

مِنْ ضَلال الفكر (١)

قرأت كتاب (رحلة إلى مكّة) لمؤلفه (مراد هُمْفَنْ) من منشورات (مكتبه العبيكان)، ورأيت ما يلي:

١- ذكر على الغلاف أن كتاب هُمْفَنْ: (يحمل إلى الناس حقيقة الإيمان ونور الإسلام)، وهذا افتراءٌ على الكتاب وعلى الإسلام والمسلمين، فكاتبه (زاده الله هدى) اغترَّ بفكر بعض المسلمين وعاداتهم وتقاليديهم المبتدعة فأعشت بصره عن هدى الكتاب والسنة، ولو(دَرس الإسلام بِعُمِق) كما ذُكِرِ لما خدعه السَّراب عن الماء الزُّلال.

٢- من الأمثلة على ذلك: أنّه ظنَّ الفلسفة والفنَّ طُرُقًا صالحة للوصول إلى الإسلام(ص٣٩، ٤٦، ٤٩)، وظنَّ أنّ (التصوف المبتدع له الفضل فى حفظ الدّين وبخاصة الذكر والدعاء)، وكان مثله الأكمل: ابن عربي الذي تُنْسب إليه خرافة وحدة الوجود الوثنية، (ص: ٦٦). وظنَّ أن استعمال المسبحة من الدين (ص ٦٥). وظن (المسلم المتّبع للسّنة يعيش في شبكة من الرموز) مقتديا بما قاله (شون) ص(٦٦)، ولم يَقُلْه الله ولا رسوله ولا الأئمة في القرون المفضلة، بل قاله غلاة الباطنيَّة.

وظن أن ترتيل الموشحات من الميلاد الدين، وأن زكاة

الفطر(هدية) تُخرَجُ في ليلة ٢٧ من رمضان مماثلة لهدايا عيد ميلاد (ص٨٥). وظن أن فرض الصوم - مميَّزًا عن غيره من الفرائض- لم يُفرض لله وإنما فُرِضَ للناس (ص٨٥) ناقضًا ما صحَّ في الحديث القدسي عن الله تعالى: «**أما الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**». وهو يظن أن اختلاف بداية الصوم ونهايته في بلاد المسلمين: (مُخْزٍ ومشين)، وأنّه اتّباعٌ لتقاليد وأعراف قديمة (ص ٨٦، ٨٧)، ويجهل أن السبب الحقيقي أمر الرسول ﷺ أمته: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته**»، ويغفل عن حقيقة اختلاف المطالع، ويُفهم منه أن الحجَّ وعيد الأضحى يحدّد بالحساب الفلكي (ص ٨٧)، ويغفل عن الفرق بين الصوم في أماكن مختلفة والحجّ في مكان واحد.

٣- كَتَبَ ٩ صفحات (من ٩٢ إلى ١٠١) عن تنظيم الإسلام آداب الطعام وحشاها بكثير من العادات والتقاليد لا علاقة للإسلام بها، بل تخالفه.

٤- أفتى بأخذ الفوائد الرّبويّة على المال المدّخر، وإعطائها في حال عدم تعرّض المقترض للاستغلال (ص١٢٢)، وخالف ما سمّاه: (المناقشة بالمفهوم الأصولي للربا) (ص١٢٣).

٥- ظن أن العادة المبتدعة: ذبح شاة عند الانتقال إلى مسكن جديد [أو بنائه] بما في ذلك من وضع نقطة من دمها على الجبين (ص١٢٦) ظنَّ ذلك أمرًا مشروعًا مثل الهدي أو الفدية أو الأضحية أو العقيقة (وهي وحدها المشروع تَعَبُّدًا في دين الإسلام)؛ فهو يخلط

العادة بالعبادة كثيرًا كما يخلط الفكر بالوحي كثيرًا ويخلط البدعة بالسّنَة كثيرًا.

٦- أخطأ في فهم الآية (١٢٩) من سورة النساء فأوردها دليلًا على شرط العدل (ص١٣٤).

٧- فسّر الآية (٣٤) من سورة النساء خلافًا لتفسير الأئمة القدوة واتّباعًا لبعض المترجمين، وهم - مثله - غير مؤهلين للقول على الله ولا الفقه في شرعه.

٨- رأى أن وصول امرأة مسلمة إلى رئاسة الحكومة مفخرة للإسلام (ص١٤١)، وعارض الفصل بين الجنسين (ص١٤٢).

٩- قدّم فِكْرَهُ على أحكام الشريعة في الحجاب بحجّة (أن الإسلام أغني وأعمق من مجرد غطاء رأس المرأة) (ص١٤٥).

١٠- تكلّم عن حقوق (أو فقد حقوق) الولد (غير الشرعي) بما لا يتّفق مع شرع الله، بل مع فهمه القاصر لشرع الله (ص١٤٦).

١١- وهو يريد للمسلمين في ألمانيا أن يجتذبوا استحسان بقية الألمان للإسلام بالإجماع على موقف إيجابي جديد من حقوق المرأة، والتمسك بالدستور، والفوائد الرّبوية (ص١٩٨).

١٢- ظن (ص٢٠٤) أن (الفرق الوحيد بيننا وبين النّصارى: ماهيّة المسيح - عليه السلام -؛ فإذا زال هذا الفارق زالت العوائق الفقهيّة بيننا)، وهذا خطأ فاحش، فإن الإسلام نسخ كل دين في أكثر الأحكام الشرعية، ما عدى العقيدة فواحدة قبل أن يدخلها التّحريف

والتبديل من قبل المنتسبين إلى الدين عامة، أما التعاون بالمعروف فجائز مع الجميع.

١٣- هذه أمثلة قليلة تُبَيِّن أنّ مَنْ كَتَبَ التقريض على الغلاف دفعه إليه الفرح بمسلم جديد (بمرتبة سفير ألمانيا) أو الرّغبة في اجتذاب القارئ المسلم لدفع الثمن أكثر من التّثّبت والتّبيّن قبل الحكم - كما أمر الله - هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا.

١٤٢١/١٠/١٩



مِنْ ضلال الفكر (٢)

قرأت العدد ٦٤ من مجلة المستقبل الإسلامي التي تصدرها الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وأرجو الله لمستقبل الإسلام وشبابه وشيبه خيرًا مما تتمنّاه المجلة والندوة؛ فالإسلام الصحيح هو القائم على الوحي والفقه في الدّين لا على الفكر والعاطفة والظّنّ.
ولست بالحريص على قراءة هذه المجلة وأمثالها من المجلات الإسلامية الفكرية العاطفية، ولكن النّدوة بروتينها الإداري تصرّ على تزويدي بها فأجد أنّ عليّ إظهار الحق وإبطال الباطل.

ليس في المجلة كلمة واحدة عن التوحيد ولا السنّة ولا عن الشرك ولا البدعة طبقًا لمنهج الندوة المخالف لمنهاج النبوّة في الدعوة إلى الله على بصيرة (لفقد البصيرة)، وهذا لا يعني اتّهام النيّة؛ فغالب المتديّنين (بدين الحق أو الضّلال) ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

ولكن الخطأ هو في انحراف المنهاج والعمل عن منهاج وسنّة النبي ﷺ.

ويبدو أنّ المجلة - مثل المشرف العام عليها - ترى الدعوة إلى التوحيد والنّهي عن الشرك بالصّمت عنهما؛ ولعلّ خير مثال على ما أدّعيه خلاصة بحث في هذا العدد بعنوان: دراسات وبحوث: الشباب أولًا: عبرة الماضي من أجل المستقبل).

ومع احترامي لعبد الحليم عويس (وهو في نظري خير الإسلاميّين)؛ فاختيار عبدالقادر أحمد عبدالقادر لهذا البحث غير موفّق، وإلى الندوة والمجلة وقرائها البيان:

أ- (للشباب أولّا) وهل كان رسول الله ﷺ يخصّ الشباب بالدعوة إلى الله؟ أم أن الشيطان قد زيَّن للأحزاب الإسلامية المبتدعة تمييز الشباب وبالتالي: عزلهم عن بقية الأمّة، وبالتالي: الفتنة.

ب- يدَّعى البحث أنّ: (أخطر عوامل سقوط الخلافة إهمال ركن الجهاد)، وأركان الإسلام خمسة؛ فمن أضاف ركنًا سادسًا فقد استدرك على الله وعلى شرعه.

جـ- (بعد المعتصم لم يسمع عن معارك قامت بها الدّولة):

١- والمعتصم (ورواية وامعتصماه) ركن آخر من أركان الدعوة الحزبيّة المبتدعة ضُيِّعت به خُطَب الجمعة ودروس الدّين في المدارس والمساجد. والذي لا يفقهه الإسلاميون أن المعتصم تجاوز الله عنه هو الذي تولّى كِبْرَهُ في محنة وفتنة خلق القرآن وتعذيب وسجن الإمام أحمد - رحمه الله -، فهل معاركه وأمثاله (لو صحّت) هي القتال لتكون كلمة الله هي العليا؟ ليس هذا أكبر همِّ المفكّرين الإسلاميين هدانا الله وإياهم.

٢- وكيف لم تسمع الندوة وأمينُها ونائبه (إن لم يسمع عبدالحليم وعبد القادر) بمعارك الأئمة الأُول والمتأخرين من آل سعود وآل الشيخ وغيرهم، وجُند الله حقًّا ممن نصر الله بهم دينه؟ لقد زاغت

أبصار الإسلاميين وبصائرهم عن معارك التّوحيد والسّنّة التي قامت عليها دولة آل سعود ووحّدت بها معظم جزيرة العرب على التوحيد والسّنّة، وهدمت أوثان الشرك والبدعة من العراق إلى بحر العرب ومن الخليج إلى البحر الأحمر، ولمّا قامت خرافة آل عثمان (التي يسميها البحث: آخر خلافة) بالانتصار للشرك والبدعة والعنصرية فهاجمت دولة التوحيد والسّنّة وانتصرت عسكريًا إلى حين أعيدت جميع الأوثان والبدع إلى أقدس بقاع الأرض ومنها وثن ذي الخَلَصَة الذي أخبر رسول الله ﷺ بعودته كما في صحيح مسلم، ثم جاءت دولة الإسلام والتوحيد والسّنّة فهدمت الأوثان مرّة أخرى وأزالت البدع وتميّزت حتى اليوم بإقامة الدين الصحيح والدعوة إليه، يشهد بذلك أهل الحقّ وأهل الباطل؛ فالخرافيّون والحزبيُّون والمبتدعة يسمون الدّاعين إلى الله على بصيرة: (وهّابيين) أو (عملاء السعودية)، والحمد لله الذي اصطفانا لهذا ونعوذ به من أن يضلّنا الفكر عنه.

د- (الذين لا يملكون إرادة الهجوم يفقدون القدرة على الدفاع).

طبيعة القتال الشرعي دفاعيّة؛ لا يُحارِب المسلم إلّا دفاعًا عن دينه وكلمة ربّه (لا انتصارًا لنفسه ولا لحزبه): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾، ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾.

هـ- (منذ سقطت الخلافة العثمانية لم تتقدم أمّتنا):

١- بلى والله! كان سقوط خرافة آل عثمان (وكرَّم الله الخلافة عنها) خيرًا للمسلمين في دينهم ودنياهم.

٢- هل سمع الإسلاميون بحديث مسلم: **«الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعد ذلك مُلْكًا»**؟

٣- وهل عرف الإسلاميّون أن حكم خير العثمانيين عندهم: عبدالحميد كان قائمًا على الخرافة والشرك والتصوف مثل أو أكثر من غيره، وأن الصّيّادي الرّفاعي المخرّف في عهده كان الخصم والحكم في دين الله؟

و- (العسكرية العثمانية التي قَدَّمَتْ ما قَدَّمَتْ للحضارة الإسلامية).

لو عرف الإسلاميون شرع الله المبنيّ على الوحي والفقه لا على الهوى والفكر، لتبيَّنوا أن ليس الأهم إضافة رقعة من الأرض في منهاج الوحي والنبوة؛ فلم يُبْعَث رسولٌ لهذا الغرض: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾.

ولكن اكتساب الأرض والحكم مقدّم على صحّة الاعتقاد وصحة العبادة في فكر الحزبيّين، وكذلك الحقد؛ فقد بُني صَنَم لصلاح الدّين على فرسه كيدًا للنصارى في الأردن، وهو أول تمثالٍ يُقام فيها، وفُتِحَ بذلك ثغرة عظيمة، ولكنَّ الله أيّد دينه وحمى هذه البقعة من الأرض المباركة من هذا التقليد الجاهلي فأَمَرَ ملِكُ البلاد بهدم تمثال أقيم له إقتداءً بصنم صلاح الدين؛ بحجة أن رسول الله ﷺ إنما جاء لِهَدْم الأصنام.

وفّق الله وُلاة الأمر لتغيير نهج النّدوة وأمثالها من الفكر والعاطفة إلى الوحي والفقه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



من ضلال الفكر (٣)

في العدد ٨٩٧١ بتاريخ ٢٣/ ١/ ١٤٠٨هـ من مجلة اليمامة ص ٨٠ نُشرت مقابلة مع الشيخ/ محمد الغزالي (تجاوز الله عنه).

١- قُدِّم الغزالي للقراء بأنه (يعيش في الجزائر محاولًا اقتلاع الجذور الفرنسية، وأنّه نجح إلى حدٍّ ما في عودة الرّوح الإسلاميّة للعروق الجزائرية).

٢- وللإنصاف فإن هذه المحاولة، والنّجاح المحدود في تحقيقها، حدثت في الجزائر قبل أن يُوظَّف الشيخ الغزالي معلِّمًا في جامعتها. وأكثر من ذلك فإنّه لا يُعْرف للشيخ منذ وصوله أي محاولة في هذا السبيل. وإذا كان للمجلّة دليلٌ واحد على صحّة ادّعاء محرّرها فأرجو بيانه حتى لا نغمط الرّجل شيئًا من حقّه. وإذا لم يكن لها دليل ولكنها انساقت إلى المدح جزافًا وبلا تثبت (كالعادة) فأولى لها ألّا تعود إلى مثل هذا الادّعاء الذي غمطت به جهاد شعب كامل في الاستقلال والتعريب وإزالة آثار الاحتلال الفرنسي الظّالم (دون عون من الغزالي).

٣- من قراءتي للمقابلة ومما كَتَبَ الغزالي أو كُتِبَ عنه، بدا لي أن الشيخ ختم الله لنا وله برحمته؛ لم يعد قادرًا على تقديم رأي محدّد صحيح واحد، وإنما هو الهجوم (الدونكشوتي) الذي لا تُعْرَف

له قضيّة عادلة ولا يتبين منه هدفٌ صحيح ولا تظهر له نتيجة صالحة.

وهو في هذه المقابلة - مثلًا - يَظْهر تارة بمظهر المؤيّد لتطبيق الأحكام الشرعيّة، وتارة يَظْهُر بمظهر الباحث عن عقبات تسدُّ طرقها؛ باشتراط (أن يَحكم الشعب قبل ذلك في علاقاته بما أنزل الله). . يضرب مثلًا تارة بالسّعوديّة للشعب الذي استحق تطبيق شرع الله عليه، وتارة يهاجم منهجها السّلفي؛ أهم مزاياها، ثم ينفي عن الأحكام الشرعيّة تهمة (تشويه الأجسام) وليته قدّم مثالًا واحدًا على ذلك حتى يتبيّن مقصده: هل يَعُدُّ قطع اليد في حدّ السرقة، والقتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل مِنْ خِلاف في حدّ الحرابة تهمة منفيّة عن الشرع (وتشويهًا للأجسام وتصويرًا كاذبًا مدسوسًا على الإسلام). ثم يقفز إلى تقرير أن الإسلام أعطى القضاة الحقّ في (إيقاف الحد إذا رأوا أن المتهم قد تاب توبة نصوحًا)، بعد أن أورد إشارة إلى قصة (ماعز) ولم يحاول الجمع بين تقريره هذا الأمر وعدم (إيقاف) النّبي ﷺ الحدّ عن (ماعز) و(الغامدية) بعد أن رأى (وهو الوحيد الذي يستطيع التيّقن من ذلك بما يتزل عليه من الوحي) أنهما تابا إلى الله توبة نصوحًا بدليل أنهما (جادا بنفسيهما في سبيل الله). ولا يمكن الاعتذار عنه بأنّه يقصد ما قبل ثبوت الزّنى؛ لأنَّ أصغر طلاب العلم الشرعي يعلم أن حدّ الزنى لا يقام حتى يثبت بالاعتراف أو شهادة أربعة شهداء.

وعقبة (ثالثة) يضعها الشيخ - عفا الله عنّا - وعنه في طريق تطبيق الأحكام الشرعية عبّر عنها بأن (الحدود جزء من سبعين شعبة يتكون منها الإيمان، فلماذا تُختار الحدود فقط من بينها وتُنسى الأمور الأخرى)؟

وعقبة (رابعة) أو لعلها تفسير للثالثة: غيبة العدالة الاجتماعيّة، وهذه أقرب إلى وحى سيد قطب منها إلى وحي الله، وكأنّه باشتراطه إزالة العقبتين الأخيرتين يشترط وجود شَعْب من الملائكة أو من الصدّيقين قبل تطبيق الشريعة في الحدود.

٣- يقول عني الدّيمقراطية أنّها: (من أحكم الأنظمة التي شهدتها الدنيا).. ولم يتّضح موقعها من الحكمة في رأيه مقارنة بعهد النبوة والخلافة الرّاشدة.. ولو نظر إليها بنفس المنظار والعداء الذي يواجه به المنهج السلفي لوجد فيها أغراضًا أوضح للتّنفيس عن نزعته الهجومية.

٤- يقيس (شرعية) الأحزاب السياسيّة بمقياس شرعيّة المذاهب الفقهيّة التي (اختلفت في أمور كثيرة لكنّها عايشت بعضها بعضًا وكانت في صالح الإسلام)، وينسى أن علماء الأمة الذين نُسِبت إليهم هذه المذاهب بنوا آراهم على الكتاب والسّنّة واجتهدوا بعلمهم وفقهم الشرعي فيما لم يجدوا فيه نصًّا.. أما الأحزاب السّياسيّة في الغرب (الأصل) أو في الشرق (التّقليد) ومثلها الأحزاب الدينية فتبني اتجاهاتها على المصالح الحزبّية الخاصّة وعلى الهوى.

وفكرة التّعايش تسيطر عليه فيتصور مجتمعًا مسلمًا يجتمع فيه محمد بن عبدالوهاب والأفغاني والكواكبي ومحمد عبده [وربما ابن سينا وابن عربي وإخوان الصّفا] وتجتمع فيه الجماعات والفِرَق والطوائف الموصوفة زورًا بالإسلامية، لا ينكر أحد على أحد ولا يحاول أحد تصحيح مذهب أحد.. لذلك لا يُعْرف عنه مهاجمة البدعة ولا المبتدعين ولا الوثنية الجديدة القديمة ولا الوثنيّين عبّاد القبور في مقر إقامته الأصلي أو الجديد.

الاستثناء الوحيد: مهاجمته أهل السنّة الذين يحاولون نشرها بالقدوة إن قصروا عن نشرها بالموعظة.

٥- ثم عاد إلى هاجسه الذي لا يكاد يفارقه وهو الهجوم على السّلفيّة والسّلفيين الذي لم يهمله في كل ما كتب منذ انتمائه للحزبيّة المبتدعة وبخاصة منذ ذلك اليوم الذي سأله فيه شاب ممن يسميهم بالسّلفيين عن حكم حلق اللحية (وكان الشيخ يومها حليقًا أكثر مما هو الآن)، فردّ بردّ يهوّى فيه أمرها، فوصفه الشاب (سفهًا) بأنه (حمار). منذ ذلك اليوم أعلن حربه الضّروس على السّلفيّة والسّلفيين بصفة عامّة.. ومن أجل ذلك هاجم التّمسك ببعض السّنن مثل سنّة الشرب قاعدًا.. ودلّل على صحة رأيه (كعادته) بأنه رأى أحدهم في أمريكا يجلس للشرب فقال له: (إن التزامك هذا حريّ بأن يمنع الأمريكان من الدخول في الإسلام) ويتساءل غيره: كم من الأمريكان دخل الإسلام على يد الغزالي بسبب تهاونه وتهوينه شأن السّنّة القولية

أو الفعليّة، العادية أو العبادية؟ وممن أجل ذلك هاجم (في هذه المقابلة) ملازمة المرأة بيتها إلّا لضرورة. وقد يجهل (هدانا الله وإياه) أن النّبيّ ﷺ أمر (في الأحاديث الصحيحة الثابتة) بتوفير اللحية والجلوس للشرب، بل وأمر بالتّقيؤ مَنْ شَرِب قائمًا، وأنّه أخبر بأن صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في مسجده، وأن الله أسقط عنها الجهاد بمعنى القتال في سبيله.. ولكنّه حريٌّ ألّا يجهل قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾، وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

٦- وأمر أخير أرى أهمّية التنبيه إليه:

لَقَبُ المفكر الإسلامي لا يليق بالدعاة إلى الله إن كان الغزالي أو لم يكن منهم؛ فشرع الله جاء بطريق الوحي في الكتاب والسنة لا بطريق الفكر.. والدّعاة إلى الله على بصيرة هم الذين عَلِموا شرع الله (بالأدلة الصّحيحة) وعملوا به وسعوا إلى تبليغه، أما الفكر المجرد فهو أليق بالفلسفة أو السّفسطة.

وأهمية إثارة هذا الأمر تبدو عند استقراء نتائج إطلاق هذا اللقب على الدّعاة المثّقفين الذين لم يعرفوا شرع الله أو أُخِذوا بالحضارة العلمانيّة؛ إنتاجها الصناعي ونُظُم إدارتها وطرق حياتها فسيطر على عقولهم شعور بأن النجاح والفلاح والسعادة في ربط دين الإسلام بعجلة الحضارة العلمانية.

ولعل الشيطان قد أوحى للصّحف العربيّة بهذا اللقب حتى يسيطر

على ميدان الدعوة إلى الله من لا يصلح لها. . وبالتالي يختلط الذّهب بالنّحاس ويعجز المسلم عن التمييز بين الدعوة إلى الله على بصيرة وبين مجرد الخطابة والشهرة الأدبية (الإسلامية).

أرجو من الله العلى القدير أن يجعلنا أكثر دقة في تمييز الحق من الباطل وتمييز الزّبد مما ينفع الناس وخاصة عندما يتعلق الموضوع بشرع الله والدعوة إليه؛ فقد قام هذا البلد المبارك على العقيدة السّلفية بفضل الله، ووجب عليه بذلك حمل مسؤولية نشرها والدّفاع عنها.

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وهدانا جميعًا لأقرب من هذا رشدًا.



من ضلال الفكر (٤)

كتب صحفيّ جاهل بشرع الله في جريدة الوطن بتاريخ ٢١/ ٣/ ١٤٢٤هـ عن (الإنسان والوطن وابن تيمية).

ولم يَعُدْ من الغريب أن يقول صحفي على الشريعة أو كبار علمائها ما ليس له له علم، كما أنّه ليس من الغريب أن تَدُبَّ حشرة على قبر واحد من أكبر فقهاء ودعاة الأمة. ولكن هذا الصحفي تميَّز عمَّن سبقه في طريق التّيه بأن أثبت لنفسه علم اليقين وهو - فيما يظهر من قوله - من أبعد الناس عنه، فقال: (يجب علينا كمثقّفين [لاحظ كاف التّشبيه الصّحفية] يعلمون علم اليقين أين تكمن المشكلة أن نظهر وجوهنا ونرفع أصواتنا جميعًا بالقول: الإنسان - مسلم أو غير مسلم - أهمّ عندنا من نقد فقيه [ابن تيمية - رحمه الله -]، أو حتى سقوطه)، واليقين هو في الوحي وحده، ويُلحق به فقه الأئمة الأُوَل فيه. وليت علماء بلاد التّوحيد والسنة - لا المتعالمين - (يُظْهرون وجوههم ويرفعون أصواتهم) حتى لا يخلو جوّ الإعلام منهم فَتَبيض فيه وتصفر وتَنْعِق الغربان والبوم، وحتى لا يستفحل ظنّ الجهلة بشرع الله وبعلمائه ظنّ الجاهلية فيقولوا عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾:

١- ظن هذا الصّحفي - غنّمه الله العدل والعلم، والسّلامة من

الإثم والجهل -: أنَّ ابن تيمية - رحمه الله - هو (منظّر الجهاديّين) باستلاله بضعة أسطر من مجموع مؤلفاته التي قال عنها الذهبي - رحمه الله -: أنّها تبلغ أربعة آلاف كرّاس أو ثلثمائة مجلد، وإنما كان يعني أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد أوّلًا باللسان ثم بالسّنان فرض كفاية، فإذا لم تقم الكفاية بالطريق المعتاد فعلى علماء الأمة - لا سفهائها - أن يقوموا بالأمر، ولم يَعنِ، مخالفة وليّ الأمر؛ كما حدث في عصره عندما لم تقم الكفاية لدفع صولة التّتَر فقاد ابن تيمية - رحمه الله - النّاس في بلده لقتالهم، ولم يَرَ هو ولا غيره - في ذلك خروجًا على وليّ الأمر بل إعانةً له وتعاونًا معه على البرّ والتّقوى كما أمر الله.

وقد بيَّن ابن تيمية رحمه الله - كغيره من علماء السّنة - عدم جواز الخروج على ولي الأمر في مجموع الفتاوى والعقيدة الواسطيّة وغيرهما في مواضع كثيرة تُبيِّن تَمَيُّزَه باتّباعه منهاج النبوة وتمسّكه به ودعوته إليه، (ولا عليه إذا لم تَفْهم البقر). وأنّي لصحفي أن يحيط بعلم ابن تيمية - رحمه الله - فضلًا عن فهمه ونقده، وجل بضاعته أن ينقل كلماتٍ لأحد المحْدَثين (ممّن يوصفون بالمفكرين الإسلاميّين) ويبني عليها مطاولته لِعَلَم من أعلام الهدى.

٢- إذا كانت همّة الصحفي ومداركه لا تصل به إلى الكفاية من العلوم الشرعيّة فإن من السّهل أن يتبيَّن من مصادره الظّنّيّة (الجرايد) مَنْ هُوَ (منظّر الجهاديّين) المبتدعين.

في الحلقة الثالثة مما وُصِف بالوصيّة الأخيرة من مذكرات (الظّواهري) القائد الثاني - أو الأول - لتنظيم القاعدة ونُشرت في الشرق الأوسط العدد ٨٤٠٧ بتاريخ ١٤٢٢/٩/١٩: (أن سيّد قطب هو الذي وضع دستور [الجهاديين التّكفيريين] في كتابه - الديناميت - معالم في الطريق، وأن فكر سيّد هو [وحده] مصدر الإحياء الأصولي [الجهادي التكفيري]، وأن كتابه العدالة الاجتماعيّة في الإسلام يُعَدُّ أهمّ إنتاج عقلي وفكري للتيّارات الأصوليّة وأنَّ فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة [التي وصفها بالإسلاميةِ] ضدّ [من سمّاهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي ما زالت فصولها الدّامية تتجدّد يومًا بعد يوم).

هذا هو القول الفصل في منشأ واستمرار هذه الحركة غير الرّاشدة ولا المهديّة ولا المباركة مِنْ قلم رائدها الفكري والعملي هداه الله.

وسيّد قطب تجاوز الله عن الجميع في (معالم في الطريق) [ط١٠ ص١٠١ دار الشروق] يحكم على كلّ المجتمعات المسلمة بالكفر: (لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدّم الشعائر لغير الله، ولكنّها تدخل في هذا الإطار؛ لأنها لا تدين بالعبوديّة لله وحده في نظام حياتها).

وفي (العدالة الاجتماعية) [ط. دار الشروق ١٤١٥ ص١٨٥] يؤكّد هذا الشّطط في التكفير الجماعي الذي لم يُسْبَقْ إليه بما لا يجوز التكفير به (تنظيم الحياة) يقول: (ونحن نعلم أن الحياة

الإسلامية على هذا النّحو قد توقّفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته – مِنْ ثَمَّ – قد توقّف كذلك).

ويؤكد هذا الحكم الجائر الخارج عن شريعة الله (في ظلال القرآن) آخر طبعات [دار الشروق ص١٠٥٧] بالحكم بالرّدة على البشريّة كلها بمن فيها (أولئك الذين يردّدون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات «لا إله إلا الله» بلا مدلول ولا واقع).

وكانت نتيجة هذا الشطط في التكفير لجميع المسلمين أنْ أوصى الخارجين على الجماعة بالصّلاة في بيوتهم واعتزال معابد الجاهليّة [المساجد] ص١٨١٦ (في ظل القرآن) و(بأن ينفصلوا عقديًا وشعوريًا ومنهج حياة عن أهل الجاهليّة من قومها.. وبأن تشعر عصبتهم شعورًا كاملًا بأنها هي الأمة المسلمة، وأن ما حولها ومن حولها – ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه – جاهليّة وأهل جاهليّة) ص٢١٢٢ (في ظلال القرآن).

وحَكَمَ على الذين (يظنون لحظة واحدة أن الإسلام قائم وأنَّ الذين يدّعون أنهم مسلمون وَيَتَسمّون بأسماء المسلمين هم فعلًا مسلمون: بالسير وراء سراب كاذب تلوح فيه عمائم تحرّف الكلم عن مواضعه وترفع راية الإسلام على مساجد الضّرار) [مساجد المسلمين] ص٢١٦ العدالة الاجتماعية.

٣- وفي المقابل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى ج٣ ص٢٢٩: (إني دائمًا من أعظم الناس نهيًا عن

أن يُنسب مُعَيَّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا عُلِم أنه قد قامت عليه الحجّة الرّساليّة التي من خالفها كان كافرًا تارة وفاسقًا أخرى وعاصيًا أخرى).

بل يقول في المرجع نفسه: (فإنّه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول ﷺ لكن الرجل [القائل] قد يكون حديث عهدٍ بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة، وقد يكون الرّجل لم يسمع النّصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئًا).

ويرى - رحمه الله - وجوب طاعة الحكّام حتى الظلمة الجائرين منهم: (وأمّا ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ؛ فلا يجوز أن يُزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النّفوس تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه) [كما يفعل الجهاديّون المبتدعون] (فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم) الفتاوى جـ٢٨، ص١٧٩ .

ويرى - رحمه الله - إن النّبيّ ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يَقْدرون به على سياسة النّاس) جـ١ ص١١٥، منهاج السنة.

وهذا لون آخر من البيان لما يعنيه بما اقتطعه الصّحفي من (الاختيارات)، كما أنّه يبيّن أنّه (لا طاعة لمن نزّل نفسه منزلة وليّ الأمر فلا يجوز أن يُسْمَع له ويُطاع كما يُسمَع ويُطاع لولي الأمر القائم

الظاهر)، كما يفعل أهل التحزّب والتعصب والفتن باسم الإسلام وهم مخالفون لهديه. (معاملة الحكّام في ضوء الكتاب والسنة) ص٢٩ للشيخ/ عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم ط٢ عام ١٤١٤هـ.

ويقول ابن تيمية - رحمه الله -: (وكذلك مبايعة السّلطان التي أمر الله بالوفاء بها ليس لأحد أن ينقُضها ولو لم يحلف.. بل لو عاقد الرّجل غيره على بيع أو إجارة أو نكاح لم يَجُزْ له أن يَغْدُرَ به، ولَوَجَبَ الوفاء بهذا العقد؛ فكيف بمعاقدة ولاة الأمر على ما أمر الله به ورسوله من طاعتهم ومناصحتهم والامتناع من الخروج عليهم) مجموع الفتاوى ج٣٥ ص١٤٥ .

ويقول - رحمه الله -: (فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة [طاعتهم] ومناصحتهم، وحقوق الرّعيّة لزوم جماعتهم، فإن مصلحتهم لا تتم إلّا باجتماعهم وهم لا يجتمعون على ضلالة) الفتاوى ج١ ص١٢ .

فكيف يصبح هذا (تنظيرًا للجهاديين المبتدعة) يا فلتات الصّحافة؟ إنّ فقه ابن تيمية - رحمه الله - بعيد عن متناول المفتونين من الجهاديّين المبتدعين وعن مدارك الصّحفيين بُعْد اليقين عن الظّنّ وبُعْد الفقه في الدين عن الفكر إسلاميًا أو علمانيًا.

٤- يُنكر الصّحفي - هداه الله - على ابن تيمية رحمه الله - وشرّ البليّة ما يضحك - بقوله: (فكل من يظنّ نفسه عالمًا سيحاول إزالة كلّ ما يظنّه منكرًا)، ولم يبيّن رأيه في نصوص الجهاد والقتال

وتغيير المنكر في الكتاب والسنة ما حُكْمُه فيها؟ وهل يَرِد عليها ما يَرِد على أقوال الفقهاء من احتمال وضعها في غير موضعها والتعسّف في تأويلها؟

التّعالم سبب من أسباب الفتنة إن لم يكن أهمّ أسبابها، وهو وباء هذا العصر الأشدّ خطرًا على الدين والدنيا، أصيب به (الجهاديّون المبتدعون) كما أصيب به الحزبيّون والحركيُّون والصّحفيُّون والإسلاميّون غير الشرعيّين. وعلاجه لا يكون بالتّطاول من الصغار الجهلة بشرع الله على كبار العلماء العاملين المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا (لا الهويّة ولا القوميّة ولا التّراب)، بل بالأخذ على أيدي السّفهاء وإسكاتِ أفواه الحركيّين والصّحفيين والمبتدعة عن القول على الله وشرعه وحَمَلة دينه بغير علم، عاجلًا غير آجل.

٥- وصدق الصحفي مرّة واحدة فقال: (لابن تيمية في بلدنا هذا مكانة لم يعرفها في بلده في زمان)، بل كانت منزلته - رحمه الله - في أعلي الدّرجات عند كبار علماء السّنة وهم الأقلون كالعادة مثل ابن القيم وابن كثير والذهبي - رحمهما الله - ولكنّ بلادنا ودولتنا المباركة ميَّزها الله على دول المسلمين جميعًا منذ القرون المفضّلة يوم قامت على منهاج النّبوة في الدِّين والدّعوة وفقه ابن تيمية وسلفه الإمام أحمد بن حنبل (رحمهما الله) في الدِّين.

وكان مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - أقلّ المذاهب في عدد متّبعيه، (ومثل تلميذ فقههِ ابن تيمية - رحمه الله -) عانى من مخالفة

المبتدعة وشططهم وسجونهم وأذاهم، ثم جاءت دولة التّوحيد والسّنة فاحتضنت فقه الإمام أحمد منذ قيامها لتجديد الدّين بالعودة به إلى ما كان عليه محمد وأصحابه، في منتصف القرن ١٢؛ يقول الشيخ/ محمد أبو زهرة - رحمه الله - في كتابه (ابن حنبل) ص٣٥٦، ٣٥٧: (وإذا كان ذلك المذهب الجليل قد فقد الأتباع في الماضي فإن الله سبحانه وتعالى قد عوّضه في الحاضر؛ وذلك بأن [السعوديّة] تسير حكومتها في أقضيتها وعبادتها على مقتضي أحكامه، وكان ذلك تعويضًا كريمًا وإخلافًا حسنًا لأن [السعودية] تطبّق الشريعة الإسلامية في كل أقضيتها، بل إنها تطبّق أحكام الحدود والقصاص تطبيقًا صحيحًا كاملًا، فالحدود فيها قائمة ومعالم الشّريعة فيها معلنة؛ وبذلك قامت دولة الشريعة محكمة البنيان ثابتة الأركان تعلن للناس تفي ل البقاع والأصقاع أنّها خير شريعة أخرجت للناس، وقد كان ذلك المذهب هو مذهب آل سعود، وإنما كان هؤلاء حنابلة اعتنقوا في العقائد والفقه مذهب محمد بن عبدالوهاب وهو يعتنق فيه مذهب ابن تيمية في العقائد والفقه، ومذهب ابن تيمية في العقائد هو مذهب جمهور المسلمين، وهو يمنع التوسّل والتقرّب بالموتى ولو كانوا من [أهل] الصّلاح والتقوى في حياتهم، ومذهبه في الفقه هو مذهب الإمام أحمد مع بعض مسائل أفتى بها ولم يكن فيها مقلّدًا لأحد بل كان متبعًا لكتاب الله وسنة رسوله) انتهى مختصرًا.

ثم يّسر الله لدولة التّوحيد والسّنة من وسائل الطّبع والنشر ما

ميّزها من جديد بطبع ونشر مراجع الفقه الحنبلي لأول مرة في تاريخ المسلمين وكان أوّلها: (المغني والشرح الكبير) في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، وتميَّزت دولة التوحيد والسّنّة بجمع وطبع وإحياء فقه ابن تيمية في عهد الملك سعود - رحمه الله - فانتدب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمدًا لجمع فتاوى ابن تيمية - رحمه الله - من مكتبات العالم ثم طَبعَها في ٣٧ مجلّدًا خدمة للإسلام والمسلمين، ثم يأتي سفيه من سفهاء الصّحافة فيحسب هذه الميزة والمنّة والنّعْمة من الله على البلاد والدّولة المباركة جريمة ومصيبة، وحقّ أن يقال في حريّة الصحافة التي جرّته إلى هذا الدّرك ما قالته إحدى ضحايا الثورة الفرنسيّة الظالمة: (أيتها الحرية [الصّحفيّة] كم باسمك تقترف الآثام).

٦- يقول الصحفي عن ابن تيمية - رحمه الله -: (إنّه إقصائي أحادي لا مكان للرّأي الآخر عنده، عاطفي وانفعالي، ويحدث أن تصدر بعض فتاويه كردود أفعال [لاحظ كاف التّشبيه في غير محلّها مع غيرها من الألفاظ الصّحفيّة الدّارجة] غير موزونة).

وفي مقابل الرأي الصحفي الآخر - الجاهل بشرع الله وبالفقه وبالفقهاء - فيه يقول عنه تلميذه ابن القيم بأنّه من هداه الله به إلى صحيح الاعتقاد والسنة في منظومته النّونيّة (الكافية الشافية).

ويقول عنه الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه (العقود الدّرّيّة من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية): انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه

وسيلان ذهنه وقوّة حافظته وسرعة إدراكه.. حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والتّواضع والحِلْم، والأناة والإنابة، وحسن الخُلُق ونفع الخَلْق والإحسان إليهم، والصّبر على من آذاه والصّفح عنه والدعاء له).

ويقول عنه الحافظ المزّي: (ما رأيت مثله، ولا رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا اتبع لهما منه).

ويقول عنه الحافظ ابن سيد الناس اليعمري: (كان يستوعب السُنَن والآثار حفظًا؛ إن تكلم في التّفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته).

ويقول عنه الحافظ الذهبي: (كان يَحْضُر المدارس والمحافل في صِغَرِه ويُناظر ويُفحم الكبار ويأتي بما يتحيَّر منه أعيان البلد في العلم). ويقول: (كان يقضي منه العجب: إذا سئل كأنَّ السّنَّة بين عينيه وعلى طرف لسانه).

ويقول عنه ابن كثير: (صار إمامًا في التّفسير، عارفًا بالفقه، وكان عالمًا باختلاف العلماء، عالمًا في الأصول والفروع والنّحو واللغة وغير ذلك من العلوم النّقيلة والعقليّة، وما تكلم معه فاضل في فنٍّ من الفنون إلّا ظن أن ذلك الفنّ فنّه، وأثني عليه جملة من علماء عصره مثل الخوبي وابن دقيق العيد وابن النّحّاس وابن الحريري وغيرهم).

وقال عنه ابن الزملكاني: (اجتمعت فيه شروط الاجتهاد، وأنَّ له اليد الطّولي في حسن التّصنيف، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة).

ويقول عنه الشيخ محمد حامد الفقي: (نشأ شيخ الإسلام - رحمه الله - في هذا الجو المظلم بمتكاثف سُحُب الصوفية الوثنيّة وسُحُب الفلسفة الهندية والفارسيّة واليونانية، وسُحُب التّقليد الأعمى.. نشأ في هذه البيئة ليكون آية الله في خلقه وحجّته على الناس).

هذا بعض ما عرِّف به علماء السنة ابن تيمية - رحمهم الله - جميعًا، وتقدّم ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة من علماء العصر عن ابن حنبل وابن تيمية - رحمهم الله - وما تميَّزت به دولة التوحيد والسّنة من اتّباع ونشر فقههما في الدين الموافق لمنهاج النبوّة.

وأخيرًا نختم هذا السجل الموجز من التّوثيق والتّقريض والشهادة لله بسطور قليلة من كتاب الشيخ أبي الحسن النّدوي عن ابن تيمية - رحمهما الله - من سلسلة رجال الدّعوة والفقه في الإسلام، مع ميله - رحمه الله - إلى الفكر.

(وفي القرن الثامن الهجري ظهرت الحاجة إلى ردّ فعل علميّ شرعيّ ضد طغيان الفلسفة وعدوان علم الكلام على العقيدة في الله، ظهر علم الكلام لمقاومة الفلسفة ونصرة الدين، غير أنّه تأثر بالفلسفة في المنهج والموضوع والأسلوب، فوُجدت فلسفة إلهية متأثرة بالفكر

اليوناني رغم أنها ظهرت لمضادّته في الأصل. . وظهرت الحاجة إلى عالم كبير له اطّلاع واسع على ما واجهته المسيحيّة والدّيانات الأخرى من تغيير وتحريف لردّ هجمات النصرانية وراء ستار تقدّمها العلميّ، وظهرت الحاجة إلى فضح المذاهب الباطنية المنحرفة والحركات الهدّامة، وظهرت الحاجة إلى عالم مجاهد يتصدّى لمحاربة العقائد الباطلة التي دبّت بين المسلمين من تأثير العجم وتهاون العلماء فأصبح الدّين الخالص والتّوحيد النقيّ وراء حجاب، ونشأ الغلوّ في الأولياء والصّالحين شأن اليهود والنصارى حتى بدأت عقيدة التوسّط والتقرب بالأولياء والصالحين شأن اليهود والنصارى ترسخ كما جاء في القرآن من قول مشركي العرب: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وأصبح كثير من العلماء لا يرون بأسًا في الاستغاثة والاستعانة بغير الله، واتُّخذت قبور الأنبياء والصّالحين مساجد، وتحقّق الخطر الذي أنذر به النبي ﷺ وشدّد النّهي عنه.

وظهرت الحاجة إلى مؤمن قويّ ومصلح جريء يتناول طوائف المتصوّفين المنحرفة بتأثير الفلسفة الإشراقيّة أو تنسّك [الهنادكة]، وعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وتقسيم الظاهر والبطن، وفتنة الرّموز والأسرار، والشعوذة والتّهويل. .

وظهرت الحاجة إلى محدّث فقيه وأصوليّ ضليع، مطلّع على المذاهب الفقهيّة لا يتعدى حدود السّلف مع قوة استنباطه وتحقيقه، عارف بمكانة الأئمة المجتهدين وفضلهم وحقّهم، جامع بين العلم

والسّيف والقلم؛ فكان ذلك الرجل هو شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي لا تزال آثاره خالدة على مرّ القرون والأجيال).

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته.



الحداثة الإسلامية (١)

اطلعت على تصريح لمدير معهد الفكر الإسلامي العالمي في أمريكا عن عزمهم على: (إغراق المجال الإسلامي بإنتاج فكريّ إسلامي جديد لمثل الغزالي وعبدالحميد وعمر وغيرهم)، أرجو الله أن يجنّب الإسلام والمسلمين سوء عاقبته.

وعاقبة تذليل شرع الله لفكر قاصر (وكلُّ مَنْ ذكرهم قاصرٌ في علوم الشريعة) لا تكون إلا سرًا وخروجًا عن سبيل المؤمنين من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان (في القرون الثلاثة المفضّلة) - رضي الله عنهمْ أرضاهم -.

وقد اصطلى الإسلام والمسلمون بعواقب هذا الانحراف في البداية عندما حدثت لوثة الخلط بين الوحي والفكر الوثني - الهندي واليوناني - وفي النهاية حيث تحدث لوثة الخلط بين الوحي والفكر الإسلامي - الولد غير الشرعي للثقافة الغربيّة لمعاصرة - يا حسرة على المسلمين؛ يُجَرِّبون دينهم بفكر أبنائهم ومن ورائه فكر أعداء دينهم وأمّتهم بما يقيمون من مؤسسات فكريّة بما استخلفهم الله فيه من أموال المسلمين لينظر كيف يعملون.

والهدف المعلن: تجديد الدّين بفهم بناسب العصر كما ينعق المفكرون منذ عاد الأفغاني ومحمد عبده من باريس بالفكر، تجاوز الله عن الجميع.

والنتيجة المحققة (إلا أن يشاء الله): تغيير خلق الله بتغيير دينه.

منذ سمعت بإنشاء المعهد توجسّت شرًّا؛ لأن الحركيّة والفكريّة التي لا تستند إلى الوحي سبيل المؤمنين الأوّلين في فهمه لم تنتج لنا في القرن الماضي إلا غثاءً من الظنّ والعاطفة، يحسبه الكاتب والقارئ ماءً ثم يتبيّن أنّه ممّا يُلقي الشيطان على الأماني ليشغل به المسلمين عن الحقّ الأبلج من وحي الله.

وقد حذّر الله تعالى من اتباع الظّنّ والعاطفة وتَرْك الوحي اليقيني: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾.

دينُ الله والدعوة إليه مبنيَّتَان على اليقين وإن ظنَّ بعض كهول الفكر - مثل الغزالي - وأفراخهم - مثل طه وعبدالحميد وعمر هدانا الله وإياهم جميعًا - أنّهم آتون بما لم تستطعه الأوائل: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾.

وصدق رسول الله ﷺ: **«حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ النّاس رءوسًا جهالًا فضلّوا وأضلوا»**.

وعجبٌ تسويغهم ما هم مقدمون عليه من المنكر ومدبرون عنه من المعروف اليقيني بأن الله خاطب مختلف الطّبقات فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.. كيف بَلَغَ منهج الفكر بمدير معهده من البعد عن منهج الوحي أن يظن أنّ أَمْر الله الناس بالتقوى (مثلًا) يُستثنى منه المؤمنون؛ وأنّ أَمْر الله المؤمنين بالطاعة

وبالاتباع يستثني منه الناس؟ أليس كلّ الإنسن والجن (الأمس واليوم والغد) مخاطبون بالقرآن كله وبالسنة كله حتى تقوم الساعة؟ أيصلح آخر هذه الأمة بغير ما صلح به أوّلها؟ ألم يُكمل الله الدين ويُتْمِم النعمة قبل أن ينقطع الوحي بموتِ النبيِّ ﷺ؟

لا أرى إلّا أنهم يفتحون على الناس باب ضلالة كما قال عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -: (فاتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

وليعلم (المُفَكّرون) أن الله أرسل رسوله ﷺ بما أرسل به الرّسل من قبله على اختلاف المكان والزمان والحال، وهذه الرّسالة الأخيرة من الله هي للثقلين في كلّ مكان وكلّ زمان وكلّ حال حتى تقوم الساعة، ولو كان بينهم عالم شرعي واحد يستحقّ هذا اللقب لأدركوا حدودهم ولما ذهب بهم الغرور خارج هذه الحدود.

ولنتذكر أن اقتناع أيٍّ منا برأيه لا يدل على صحّته؛ فلنَعُدْ إلى كتاب الله وسنة رسوله وفهم السلف (في القرون المفضلة) لهما ولنتوقّف عن إنفاق أموال المسلمين في بلاد التوحيد والسُّنّة على الحركيّة الحزبية المبنيّة على الظنّ والخرص: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ولنحوّل معهد الفكر في أمريكا وجامعته في ماليزيا إلى مؤسسة لنشر شرع الله بلا تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا تأويل؛ فلا تجديد لهذا الدين إلّا بالرجوع به إلى منبعه، وإزالة ما علق به من بدع الفكر والقول والعمل، وما أَكْثَرُ الفكر الإسلامي إلا مكرٌ من الشيطان يخدع به الحركيّين ليستبدلوا الذي هو أدني (الفكر)

بالذي هو خير (الوحي)، وكل مناهج الدعوة باطلة إلا منهج النبوّة.

لم يَرِدْ في الكتاب ولا في السنة ولا في فقه الأئمة كلمة: فكر، ولا كلمة: إسلامي، وإنما ورد الحث على اتباع الوحي والتّفقه فيه والعضّ على ذلك بالنواجذ، والنّهي عن المحدثات في الدّين، على مثل ذلك يحب أن نحيى وعليه يجب أن نموت غير منحرفين ولا مُفْرطين ولا مُفَرّطين.

لا أشك في حسن نية القائمين على المعهد ومؤسساته وإنتاجه ولا أشكّ في فساد سعيهم، وفيما يتعلّق بشرع الله لابد أن يقترن صلاح النيّة بصلاح العمل فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

هدى الله الجميع للاتباع وأعاذهم من الابتداع وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته.

٣٠/ ٩/ ١٤١٢هـ



الحداثة الإسلامية (٢)

قرأت في عدد مجلة المنار ١٨ الصّادر في محرّم ١٤٢٣ مقالًا بعنوان: الصّحوة الإسلامية.. خواطر في فقه المنهج لمحمد بن المختار الشنقيطي (كاتب موريتاني مقيم بالولايات المتحدة).

ولم يوفّق هدانا الله وإياه إلّا في إثبات أن المجلة منارٌ للفكر لا للشرع ولا للحقّ ولا للعدل، وكلمة (فقه) في عنوان مقاله مجرد ادّعاءٍ ينفيه كلّ ما سوّد به الصفحات من ١٤ إلى ٢٥، وَفَرْقٌ عظيم - قد لا يدركه الكاتب - بين الفقه في نصوص الوحي على منهاج أئمة الفقه في القرون المفضّلة وبين الفِكر ولو وُصِف زورًا أو خطأً بالإسلامي؛ فالأول مُنْتَمٍ إلى اليقين، والأخير مُنْتَمٍ إلى الظن على أحسن أحواله.

لم يتضمّن المقال نصًّا من الكتاب ولا من السّنة ولا من فقه السلف في الدين، وإنما امتطى وهمه وهواه وفكر من وصفهم بأنهم (خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين) ص١٥، وليس فيهم عالم بشرع الله ولا داعٍ إلى الله على بصيرة، بل هم بين: (إقبال) التّائه بين الفلسفة الضالّة والتصوّف الضّال إذا صحّت التّرجمة عنه، (ومالك بن نبي) الذي حاول أن يقبض قبضة من أَثَر (الإبراهيمي وابن باديس ومبارك الميلي) - رحمهم الله - الدُّعاة حقًّا إلى الله على منهاج النّبوّة، العلماء حقًّا بشرع الله، الذين أزال بهم معظم أوثان الجزائر

وبِدَعها؛ فشغله عن ذلك مثل ظن (إقبال) أن (المطلوب ليس العلم بالله بل الاتصال بالله والانكشاف للحقيقة الخالدة: تجلّي الذات العلويّة) ص١٧ نقلًا عن (وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبي ترجمة عبدالصبور شاهين ص٥٤ ط٥ دمشق ١٩٨٥)، بل فِكْر (بلزاك) ص١٧، و(عبدالله نصيف) الذي ظنَّ أننا (نحن المسلمون أشد أعداء الإسلام.. لا نزال نحارب المعتزلة، بينما يجب علينا التعامل مع الأفكار الطّريّة في ثقافتنا) ص١٧، وهو هدانا الله وإياه لأقرب من هذا رشدًا شغلته (الأفكار الطّريّة) عن الاقتداء بجدّه محمد نصيف - رحمه الله - وكان علمًا من أعلام الدِّين الحقّ، وَنَشْر علوم الشريعة ونَصْر أهلها، وتأييد دعوة الحق من أوَّل يوم، وكان منزله في جدّة أوّل منزلة للملك عبدالعزيز - رحمه الله - عندما اختاره الله لتطهير بيته - وما حوله - من أوثان المشاهد والمزارات والأضرحة وبدع الفكر الصّوفي والفساد الدِّيني والدنيوي، و(الغنوشي) الذي يصف بعض علوم الاعتقاد وبخاصة الرّدّ على المعتزلة والفلاسفة والأشاعرة (بالزّيف) ويحكم عليها (بالدفن) ص ١٨ لِتَبْقى حركته الضّالّة عن منهاج النبوة، ونظم ركيك (لعبدالله الحد) يمثّل ضياعه ومحاولة إظهار نفسه بأيّ كلام لا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة، وأخيرًا فكر (فُلَر) ضابط وكالة الاستخبارات الأمريكية (وبروغا) الخبير الفرنسي في الحركات الإسلامية) و(الحكيم الإفريقي نِلْسُن مَنْدِلّا) وبمثل هؤلاء ضلّ الفكر الإسلامي.

٢- وكما توهّم سيّد قطب - رحمه الله - تقصير السّلف منذ عصر نزول القرآن عن إبراز الجمال الفني في القرآن بانشغالهم بمعانيه وألفاظه (التصوير الفني في القرآن ص ٢٦ - ٢٧ طبع دار الشروق عام ٢٠٠٠)؛ توّهم الشنقيطي هداه الله تقصير الفقهاء منذ القرن الأول عن الاهتمام بالجوانب السّياسيّة والإدارية والتّنظيميّة، وانشغالهم بفقه المبدأ عن فقه المنهج (ص١٤). والتّفريق بين فقه المبدأ وفقه المنهج حلقة جديدة في سلسلة الابتداع الضّالة بعد التّفريق بين الظّاهر والباطن وبين الحقيقة والطّريقة، وإذا كان للمسلمين أن يكونوا (أشدّ أعداء الإسلام) كما نقل الشنقيطي عن نصيف (ص١٧)؛ فأقرب صور هذا الإثم العظيم أن يتجرأ كتّاب الفكر (الموصوف بالإسلامي زورًا) على مخالفة منهاج الصّحابة والتّابعين وتابعيهم في القرون المفضّلة وهم المؤمنون الذين أَمَرَنا الله باتباع سبيلهم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾.

ولم يكن من سبيل الرسول ﷺ ولا أصحابه ولا أتباعه في القرون المفضّلة: إبراز الجمال الفنّي في القرآن - كما يؤكد سيّد -، ولا كان من سبيلهم الاهتمام بالجوانب السّياسية والإداريّة والتّنظيميّة والتّفريق بين فقه المبدأ وفقه المنهج - كما يؤكد الشنقيطي - وهذه خُطب النّبي ﷺ يوم الجمعة وهي القدوة المفروضة في الدّعوة لم تَذْكُر مرة واحدة تنظيمًا إدرايًا ولا حدثًا سياسيًا ولا طارئًا من

الطّوارئ على كثرتها وأهمّيتها ويقينها كما ثبت في صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النّعمان - رضي الله عنها - وفي كل ما ثبت من خطب النبي ﷺ وأصحابه ومتّبعي سنة في القرون المفضّلة، وكان أكبر همّهم في تعلّم القرآن: تدبّر معناه، وكان أكبر همّهم في الدِّين والدّعوة: أحكام الاعتقاد ثم العبادات ثم المعاملات لا كما يتوهم الشنقيطي ومن استشهد بفكرهم الضّال هدانا الله وإياهم جميعًا.

٣- والشنقيطي (ردّه الله إلى شرعه ووحيه) يرى علاج مشكلات الصّحوة: (استنباط قواعد منهجيّة جديدة، والبحث عنها في ثنايا الحكمة الإنسانية عامّة، والاستفادة من التّراث الإنسان المعاصر والحضارة المعاصرة في مجال الفكر الاستراتيجي والتّنظيمي) ص (١٥)، والحقّ أن أكبر مشكلات ما يسمّى بالصّحوة الإسلامية انشغال قادتها بالفكر الاستراتيجي والتنظيمي والفلسفي والصّوفي عن الرّدّ عند الاختلاف إلى الله والرّسول، وعن طاعة ولاة الأمر، وعن الرجوع إلى منهاج النّبوّة وجماعة المسلمين ونَبْذ منهاج البشر غير المعصومة وأحزابهم التي فرّق الشيطان بها شمل المسلمين، ونّبْذ (الفكر الإسلامي) المنحرف الذي زيّنه الشيطان لأكثر المجلات الإسلامية ولمعهد الفكر الإسلامي العالمي في أمريكا وجامعته في ماليزيا ومفكّريه وإنتاجه، زيّنه بنفثه ووسوسته، وحقده على خير أمة أُخْرِجَتْ للناس (في القرون الثلاثة الأخيرة) منذ القرون الأولى

المفضّلة: جَدَّدَت الدين للناس بالرجوع به إلى نصوص الكتاب والسّنّة بفهم سلف الأمة المعتدّ بهم، وقاتلت **«لتكون كلمة الله هي العليا»**، وأزال الله بها البدع، ومَحَا بها أوثان المقامات والمشاهد والمزارات من كربلاء إلى بحر العرب ومن الخليج إلى البحر الأحمر، (وكان من بينها وثن ذي الخلصة الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وأخبر عن عودته)، ولمّا قامت دولة البغي والظلم والبدع: الخرافة العثمانية غير الرّاشدة وغير المهديّة بتدميرها - فيما يشبّهه د. صالح العبود رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بالحرب الصليبية في مقدمته لكتاب (حقيقة الدعوة إلى الله تعالى ص١٤ ط٤) وفيما يصفه بالحملة الصليبية د. زكريا سليمان بيومي أستاذ التّاريخ الحديث في جامعة المنصورة بمصر في هذا العدد من مجلة المنار الجديد ص٩٠؛ أعادها الله فقامت بقيادة الملك عبد العزيز آل سعود بما قامت به الدولة الأولى من إزالة البدع والأوثان التي أعادها سلطان آل عثمان، ولا زالت الدّولة المسلمة الوحيدة التي منعت بناء المساجد على القبور ومنعت ما دون ذلك من البدع وزوايا التّصوّف بوازع السّلطان أكثر من وازع القرآن، ونشرت الكتاب والسّنّة داخل البلاد وخارجها، وأسّست معاهد وكليّات وجامعات ومراكز الدّين في الداخل والخارج، وطبعت ووزعت لأوّل مرّة في التاريخ المراجع والكتب الدّينيّة وأهمّها: جامع الأصول وتفسير الطبري وابن كثير والمغني والشرح الكبير ومجموع فتاوى ابن تيمية بعد جمعه من

مكتبات العالم، فضلًا عن طباعة المصحف وكُتُب الحديث، وخدمة وتوسعة وتطهير الحرمين مما يصعب حصره.

ولكن هذا الكاتب يلومها على (التّحالفات والمعاهدات وعلى صِلاتها الدّوليّة التي يدّعي أنها تحتمي بها) ص٢٠، ويزيغ فكره عن تذكّر تحالف النّبي ﷺ وتعامله مع المشركين بل ودخوله في جوار المطعم بن عدي المشرك، بل يزيغ فكره عن تذكّر أنّه هو (صاحب الفكر المنحرف عن منهاج النبوّة في الدين والدعوة) مهاجرٌ من بلاد المسلمين إلى بلاد أغلبيَّة أهلها نصارى وسياستها علمانيّة، إما بدعوى (الاحتماء) دون ضرورة أو في ملاحقة للدّولار، ومنْ وراء ذلك ومِنْ مدونه: الانتماء والولاء والحياة بين غير المسلمين وفي ظلّ راية نظام العلمانيّة، ومثله كثير من المفكرين والمعارضين الإسلاميين (زعموا) كفى الله الإسلام والمسلمين شرهم.

٥- ويلوم الكاتب الضّالّ عن منهاج النبوّة دولة الدعوة إلى منهاج النبوة (من أوّل يوم) على كثرة أفراد الأسرة الحاكمة وهو لا يعقل أنّه بهذا التخريف يخالف شرع الله ووحيه؛ فقد شَرَع الله كثرة النسل: «**فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**». وهو يخالف قضاء الله وقدره: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانًا وَإِنَٰثًاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ﴾.

وهو يغتاب - بل يبهت - خير من أعطاه الله الملك في القرون الثلاثة بل العشرة الأخيرة، ويعصي قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغۡتَب

بَعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾، وهو يحاول إثارة الفتنة في خير أرض وخير دولة: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ﴾، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِۚ﴾.

٦- ويهذي الكاتب هذيان الحقد أو الجنون فيلوم السّعودي على اهتمامه (بتفاصيل عمل الحركات التّنصيريّة عبر العالم ووسائل تأثيرها على المسلمين في غرب إفريقيا وجنوب شرقي آسيا وهو غير مطّلع على أساليب عمل السّلطة في بلده وصِلاتها الدّوليّة).. إلخ (كما أنّه لا يعرف عدد أفراد الأسرة) ويلوم غير السّعودي على معرفته (دقائق تاريخ الإخوان المسلمين وعن قادة الأحزاب الأفغانية.. وهو لم يسمع باسم الفضيل الورتلاني ولا قرأ لِعَلّال الفاسي أو مالك ابن نبي، ولا هو يعرف عدد الوزراء في حكومة بلاده) ص٢٠، أشكر الله الذي شغلني بالدعوة إليه عن القراءة للورتلاني والفاسي، ولم اقرأ لمالك بن نبي إلا قليلًا ثم صرفني عنه اعتماده على الفكر أكثر من الوحي الأمر الذي حبّبه إلى الشنقيطي، ولن يسألني الله عن عدد الوزراء في حكومة بلادي المباركة، ولا عن عدد أفراد الأسرة المالكة أعزّهم الله وأعزّ بهم دينه، وإن علمت - بالصدفة المقدّرة - أن المفكِّر المحقّق عبدالرحمن الرّويشد رئيس تحرير مجلة الدعوة عدد سنين ومؤسّس مجلة الشبل أحصاهم بأسمائهم ذكورًا، وإناثًا، صغارًا وكبارًا، أحياء وأمواتً، منذ محمد بن سعود (الذي نصر الله به وبأسرته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حياته وبعد موته بأكثر من قرنين) فلم يتجاوز عددهم (٢٩٠٠). وإني لأضرع إلى الله

أن يكثر عددهم ويحفظهم ذخرًا لحفظ دينه وقدوة صالحة للمسلمين، وأن يقلّل عدد الكتّاب ممن هم على شاكله محمد بن المختار الشنقيطي ويردّ كيدهم في نحورهم.

٧- والشنقيطي يناقض فكْرُه الفاسد فِكْرَه الفاسد في هذا المقال كما هي صفة الفكر اللازمة التناقض والاختلاف: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾؛ فهو ومَنْ على شاكلته يسخرون من الرّدّ على المعتزلة وأمثالهم بعد انقضاء عصرهم (بل من التّذكير بشرع الله في الوضوء والغُسل والحيض والنفاس وغيرها من أحكام الاعتقاد والعبادة) ثم هو ينقل كلام ابن نبي في مدح ابن تيمية بأنه (لم يكن عالمًا كسائر الشيوخ)، وزاد الشنقيطي على ذلك بادّعاء: (وقوفه في وجه حكّام الجور) ص١٨، وهذا الادعاء افتراء على ابن تيمية فهو متّبع للأمر بالصبر على الحكام ولو ظلموا كما في الصّحيحين وغيرهما، وأكثر كُتُب ابن تيمية ردّ على الفلاسفة والمعتزلة والقدريّة والمرجئة والصّوفية، وبيان أحكام الشّريعة في الاعتقاد ثم العبادة ثم المعاملة.

وفي الصّحيفة نفسها يذكر ما يلي: (الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي كان رجلًا عمليًا.. بنى التّحالفات السياسيّة والقبليّة وحمل السلاح وهدم أوكار الخرافة والدجل) ثم هو في ص٢٠ يسبّ الدّولة المباركة التي نَصَرَ الله بها وحدها دعوة الحقّ في عهد محمد بن سعود وفي عهد ولديه عبدالعزيز وسعود قبل وبعد موت الشيخ

محمد - رحمهم الله جميعًا - عام ١٢٠٦، ثم في عهد تركي بن عبدالله في المرحلة الثانية، ثم في عهد الملك عبدالعزيز وأبنائه الملوك في المرحلة الثالثة حتى اليوم بعد قرنين من موت الشيخ محمد، وهم حماة دعوته بفضل الله بهم وعليهم. ولا تزال هذه الدّولة المباركة وحدها - لأنها أُسِّست من أوّل يوم على الدعوة إلى الله على منهاج النّبوّة - تخلو مساجدها من القبور، ولا يحصل على جنسيّتها إلا مسلم، ولا توجد فيها زاوية صوفيّة واحدة، ولا يُعْلَن فيها مولد، ولا يُحتفل بِعْيدٍ غير عيدي الإسلام، ولا يُبْنى على القبور، ولا يُباع الخمر ولا الخنزير في أسواقها، ولا يختلط الرّجال بالنّساء في العلم ولا العمل، ولا توجد بها ملاهٍ ليلّة ولا دور للسّينما ويوقف العمل والتجارة واللهو أثناء كلّ صلاة، هذه بعض مزاياها ليتعلّم الجاهل ويزداد غيظ الحاقد:  ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ .

ولا يزيح الإثم عن جمال سلطان، ولا عن مجّلته، ولا عن دار المنار الجديد للنشر والتوزيع بالقاهرة، ولا عن التجمّع الإسلامي في أمريكا الشّماليّة ادّعاء (أن المقلات المنشورة تُعَبِّر عن أراء أصحابها)، فكلٌ راعٍ ومسؤولٌ عن رعيّته، والله أعلم بما في نفوسكم وسيحاسبكم على ما حمّلتم أنفسكم من نشر ضلال الفكر، تجاوز الله عنا وعنكم.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته.

❁ ❁ ❁

خطبة الجمعة الفكرية

وصلني العدد ٢٤٠ من مجلة التّوعية من منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، وقد لاحظت أن منهج الكاتب في إعداد خطبة الجمعة ص٩٢ - ١٣٤ مخالف لمنهاج رسول الله ﷺ (وهو الأسوة بأمر الله تعالى)، ومنهاج خلفائه الراشدين المهديين (وهم القدوة بأمره ﷺ) وفقه أئمة الهدى في القرون المفضّلة بخبره:

١- وُفِّق وفقنا الله وإياه إلى إدراك الحقيقة في أن (حياة الناس وأحوالهم في كلّ زمان ومكان صورة واحدة فأحداث اليوم هي أحداث الأمس والبواعث والمثيرات في الماضي هي ذاتها في الحاضر)، (ينبغي الانطلاق من المسلّمات في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.؟.. وبهذا تؤدي الخطبة دورها في جَمع الكلمة والتّمسك بُشعب الإيمان»، (من أغراض الخطبة تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان والدعوة إلى الإسلام ومسائل الإسلام).

٢- ولم يُوفَّق هدانا الله وإياه إلى وزن بقية مقاله بميزان شريعة الله وسنة رسول الله ﷺ وخلفائه وورثة عِلْمه في أغلب رأيه؛ فمع إشارته إلى العقيدة والأحكام الشرعيّة، وَضَعَها في أسفل سلّم الخُطب بعد الخُطب النيابيَّة والانتخابيّة والثقافيّة والعسكرية. واستشهد بقول منسوب إلى (أفلاطون) رأس الإلحاد والفلسفة

الوثنيَّة، ولم يستشهد بخطب النّبي ﷺ وخلفائه وفقهاء الأمة في القرون المفضّلة في موضوع الخطبة؛ ووصف من مصادر الخطبة: بعض كتب التّصوف مثل (إحياء علوم الدين للغزالي)، والشيعة مثل (الخُطَب المنسوبة لعلي - رضي الله عنه -)، و(كتب الأدب القديم والحديث) للغالفين عن الشريعة أو مخالفيها، وخطبة الجمعة عبادة، والعبادة ليس لها مصدر صحيح غير كتاب الله وسنّة نبيه وفقه أئمة القرون المفضّلة، ويجب تنزيهها عن الظّنّ والابتداع والفكر.

٣- وأخطأ عفا الله عنا وعنه في الحثّ على: (أن يلائم موضوع الخطبة الأحداث الجارية) و(مجارة الأحداث) وقد ذكر جزاه الله خيرًا: (أن يتخوّل الخطيب جمهوره بالتّذكير بفرائض الإسلام)، ولكن الصياغة تدلّ على الاهتمام بالطوّارئ أكثر من الثوابت.

ومنهاج رسول الله ﷺ وخلفائه وصحابته وفقهاء الأمة قبل أن يغتصب الفكر الإسلامي الضّالّ مكان الوحي: قَصْر الخطبة يوم الجمعة على الثوابت الشرعية: التّوحيد والشرك، السُّنَّةُ والبدعة، الحلال والحرام، الموت والحشر والجزاء، والتذكير بالله عمومًا؛ كما ثبت في صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة - رضي الله عنها -: (كان تنوّرنا وتنُّور رسول الله ﷺ واحدًا سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أَخَذْتُ ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ إلا من فيه، كان يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس)، مهما كثرت وعظمت وتتالت الأحداث الجارية وهدّدت حاضر ومستقبل الإسلام.

٤- ويزيد الخطأ سوءًا وضعه الكاتب عفا الله عنا وعنه من مصادر الخطبة: (الصّحف والمجلّات) ومعلوم أنها من أسوأ مصادر الظّنّ والفساد، ولا يليق بالمسلم ربطها بشرع الله في عبادة مفروضة ولا مندوبة استجابة لأمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾؛ فهي اختيار لغير ما اختار الله لعباده الصالحين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾.

٥- وَوُفّق وفقنا الله وإياه إلى وصف القرآن: (المصدر الأول من مصادر الخطبة) وأخطأ عفا الله عنا وعنه في إشارته إلى (أسرار من المعاني العميقة في القرآن) خلافًا لوصف الله تعالى للقرآن باليسر والبيان، ووَصفُ كلام الله بالأسرار لا يليق بغير الباطنيّة والصّوفية والمبتدعة.

ومع دعائي بالعفو والعافية للجميع وبالتّوفيق لأقرب من هذا رشدًا فإن هذا النّوع من التّوعية لا يليق بدين الله الحق ولا بالبلاد والدّولة التي ميّزها الله بالتأسيس من أول يوم على شرعه، ثبّتها الله عليه.

٢٥/ ١٢/ ١٤١٨هـ



خطبة الجمعة الصحفية

في زاوية (رزقي على الله) لأحد الصّحفيّين الجهلة بشرع الله بعنوان: (خطبة الجمعة) في العدد ١٤٨٥٢ بتاريخ ٢٨/ ١٠/ ١٤٢٤هـ ظنّ:

١- أنّ خطبة الجمعة (درس)، وهذا صحيح، بل هي (الدرس) الشرعي الوحيد المفروض في دين الله، وغايته: تعليم الناس دينهم من اعتقاد وعبادة ومعاملة بما ورد كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ بفهم الأئمة المعتد بهم في القرون المفضّلة.

٢- أن خطبة الجمعة (متابعة لأحداث وهموم واحتياجات وقضايا الناس)، وهذا ما لم يقله الله ولم يسنّه رسوله ولا خلفاؤه ولا صحابته ولا متّبعوا سنته من فقهاء القرون المفضّلة، وإنما ابتدعته أهواء الناس بعدهم وبخاصة في القرن الأخير: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ ، وبخاصّة بعد عودة الأفغاني ومحمد عبده من أوروبا.

٣- أنه يأسف لأنّ خطب بعض الأئمة (لا تتجاوز قراءة قديمة لقضايا تقليديّة واستشهادات مكرّرة من الكتاب والسنة). وهذه القضايا التقليديّة القديمة بَيَّن أمثلة لها: (نواقض الوضوء والدّعاء والتّخويف من النار).

ولولا أني أُحسِنُ الظنَّ بالنية وأرى العُذْر بالجهل لخشيت على الكاتب الكفر، وعقاب الله له، أما (الرّزق) فلن يُقْطع إلا لو اعتدى على مهنة الطبّ ونحوها من المهن، أمّا شرع الله والقول عليه بغير علم فقد صار حمًى مستباحًا يعتدي عليه الطّبيب والصّحفي والممثّل، والشكوى إلى الله.

٤- خطبة الجمعة يا أخي عبادة مفروضة لا يصلح فيها إلّا الآية من الكتاب، والحديث الصّحيح من السّنّة، والحكم الشرعي من فقه الفقهاء الأُوَل في الدّين، والدعاء، والتّذكير بالموت وما بعده والاستعداد له. قد يسمّيها الكاتب قضايا تقليديّة قديمة مكرّرة، ولكنها هي ما خُلِق الإنسان له، وهي ما يحتاجه في كل عصر، وهي التي يستوي الناس في الحاجة إليها. وهذا الدّرس الديني الذي فرضه الله مرّة في الأسبوع لا يستغني عنه مسلم في حياته ولا بعد مماته، والظن لا يغني شيئًا؟. أمّا (متابعة الأحداث) فلن يُسْأل عنها كلّ مسلم في قبره ولن يحاسب على تركها، ومكانها الجرايد والإذاعات ووسائل الإعلام الأخرى، ولو وَلَغَ فيها خطيب الجمعة كما يفعل اليوم أكثر الخطباء؛ فلن تكون الخطبة إلا نسخة باهتة مكرّرة لما ورد في الجريدة والإذاعة أو الإشاعة، وهي في أحسن أحوالها ظنٌّ لا يليق بالعبادة المبنيّة على اليقين من الوحي والفقه في الدين.

وقد مرّت أحداث عظيمة على عهد رسول الله ﷺ وهو وحده القدوة: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ

وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ؛ مرّت غزوة بدر وقبلها الهجرة والإسراء والمعراج، وبعدها الغزوات الأخرى وقضية الإفك، فلم يذكرها مرّة واحدة قبل حدوثها ولا أثناء حدوثها ولا بعده إلّا أن تكون آية تتلى أو حُكمًا شرعيًا مثل: (الوضوء والغسل والحيض والنّفاس) التي يسخر منها الصّحفيّون اتباعًا للحزبيين الضّالّين. وتكرار الخطبة سنة ثابتة؛ فالدّين لا يتغيّر بتغيّر الزمان أو المكان أو الحال، وأصحّ ما ورد عن خطب النبي ﷺ ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أمّ هشام بنت حارثة بن النعمان - رضي الله عنها -: (كان تنّورنا وتنّور رسول الله ﷺ واحدًا سنتين أو سنة وبعض سَنَه، وما أخذت﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ ، إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كلّ جمعة على المنبر إذا خطب الناس).

وقال الشافعي - رحمه الله - في (الأم ١/ ٢٠٣): (يخطب الإمام بحمد الله والصّلاة على رسول الله ﷺ والعِظَة والقراءة [من القرآن] ولا يزيد على ذلك).

وقال ابن القيّم - رحمه الله - في (زاد المعاد - محقق ١/ ٤٢٤)/ (من تأمّل خُطَب النبيّ ﷺ وخُطَب أصحابه وجَدَها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذِكْر صفات الله جلّ جلاله وأصول الإيمان الكلّية والدعوة إلى الله وذكر آلائه التي تحبّبه إلى خلقه وأيامه التي تخوّفهم بأسه والأمر بذكره وشكره).

وقال الصنعاني - رحمه الله - في سبل السّلام ٢/ ٥٠: (وكانت

محافظته ﷺ على الخطبة بسورة ﴿قٓ﴾ اختيارًا منه لما هو أحسن في الوعظ والتّذكير، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في الخطبة).

وقال سيّد سابق - رحمه الله - في فقه السنة ١/ ٣٠٩: (وفي الروضة النّدية: ثم اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم، فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شُرِعَت).

ونصيحتي لنفسي وإخواني أن يلزم كلٌّ حَدَّه واختصاصه؛ للصّحفيّين والكتّاب الانشغال بالتّحليلات الفكريّة، وللعلماء بشرع الله بيان الحلال والحرام والسنّة والبدعة والتوحيد والشرك، و(ترديد الآيات والأحاديث).

وفق الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا.



كل بدعة ضلالة

قرأت في العددين: ٩١، ٩٢ من مجلة التقوى اللبنانية ثلاث مقالات لي فيها نظر:

١- كتب الشيخ القرضاوي في العدد ٩١ عن تجديد الدين ص٨، ٩ وبيَّن جزاه الله بهداه أهمّ ما يجب أن يقال عنه: (ليس معنى تجديد الدين أن نهدم القديم ونقيم شيئًا مستحدثًا مكانه). وهذا هو ما يجب أن ينتبّه له من يوصفون (بالمفكرين الإسلاميين)؛ فليس لتجديد الدّين إلا طريق واحد: العودة به إلى ماكان عليه في عهد رسول الله ﷺ وفي عهده خلفائه الراشدين المهديّين من بعده، رضي الله عنهم وأرضاهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

والإسلام هو ما جاء في القرآن وما صحَّ من الحديث مقرونًا بفهم فقهاء الأمة المعتدّ بهم في القرون المفضّلة. وقال رسول الله ﷺ عن الطائفة الناجية في آخر أمته: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**» وقال ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدث بدعة، وكلّ بدعة ضلالة**».

وعلى هذا فلا صحة لما رآه الشيخ القرضاوي من أنّ علينا: (أن

نفهم الدّين فهمًا جديدًا)؛ فلو فُتح باب (الفهم الجديد)، لدخله كل (مفكّر إسلامي) جاهل بشرع الله؛ باب الاجتهاد مفتوح في المعاملات فيما لم يرد فيه آية ولا حديث ولا حدّ من حدود الله، أما العقيدة والعبادة فلا مجال للاجتهاد الجديد فيهما، وكلّ جديد فيهما شَرْعٌ لم يأذن به الله. ولا مجال لدعوى (تقديم البديل) فلا بديل لشرع الله إلا الضّلال عنه، وما لم يكن في عهد النّبوّة المعصومة دينًا فلن يكون دينًا إلى يوم القيامة. وإطلاق عنان (الفكر الإسلامي) في أمر الدين أوصل الكاتب نفسه (عفا الله عنّا وعنه) إلى أن يتساءل في ندوة (التّعدّدية في الإسلام): لماذا لا يتسّع الإسلام للتّعدية)؟ بعد أن قصّ قصةً عن (فرحه بلقاء أحد الصائمين على الطائرة ثم نفوره منه بعد أن يتبيّن له أنه قادياني)، ثم (رجع إلى نفسه) فوسوست له بهذا السؤال. بل قاده الفكر في مجلة التقوى إلى القول بأنه: (لا يجوز أن يولد في المجتمع المسلم من يشكو من ضغط الدّم ومن يشكو من فقر الدم)، وهذا استدراك على الله لا يمكن تسويغه شرعًا ولا فكرًا (إسلاميًا) ولا عقلًا مستقيمًا.

٢- وكتب الأستاذ البوطي في العدد ٩٢، ص٩، بعنوان (هجرة الرسول ﷺ) فأورد عنها أحاديث صحيحة مسندة وأخرى ممّا حُشِيَتْ به التواريخ والسِّيَر؛ فخلط الظّنّ باليقين. ولم يَعُد هذا الصّنيع مستغربًا، فَجُلُّ بضاعة الفكر (الإسلامي) من الظنّ، لا من الوحي ولا من الفقه في نصوصه. ولم يَكفِه أن نَقَلَ الأسطورة عن نشيد

ولائد بني النجّار ترحيبًا بمقدمه ﷺ إلى المدينة النبوية في هجرته من مكة المباركة؛ وأوّل دليل على كذب القصة أن (ثنيّات الوداع)، لا يمرّ بها القادم إلى المدينة النبويّة من مكّة، بلا زاد عليها حديثًا لم يَعْزُه إلى مرجع صالح ولا فاسد: (أتُحِبْنني؟ والله إنّ قلبي ليحبّكنّ)، ثم بنى على هذا الحديث المفترى على رسول الله قصرًا من الرّمال: (محبة رسول الله ﷺ ليست في مجرد الأتباع له)، مما يوهم بأن دعاة الاتّباع يقولون بذلك، ولم يقل بهذه الدّعوى أحد من أهل السّنة ولا البدعة، وأنما الذي يؤكده دعاة اتباع السنة: ان أتّباع سنّة النبي ﷺ دليل على صدق دعوى محبته، وعدم اتباعها دليل على كذبها، والعلم بما في القلوب خاصٌّ بالله سبحانه وتعالى لا يجوز لخلقه الحكم عليه، إنما الحكم بعد انقطاع الوحي على الظاهر من القول والعمل، ولكن الكاتب عفا الله عنا وعنه يميل عن أصل الخلاف كما فعل أكثر من مرّة في كتابه: (السّلفية ليست مذهبًا)؛ فسوّغ فيه الانحراف عن السنة وعن منهاج السّلف بأن (العادات تختلف وتتطوّر في اللباس والمباني والأواني) ص١٤ – ١٧، وأصغر طالب علم شرعي يفرّق بين العادات وبين أحكام العقيدة والعبادة والمعاملة الشرعية في وجوب الاتّباع، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾. وهذا بلا خلاف في أمر الدين لا في أمر الدنيا، وكما ذَكَر في الكتاب نفسه ص٢٣٩ – ٢٤٠ (ردًا على

دعاة الالتزام بالسنة): (أن الاستدلال بحديث: **«لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»** على عدم جواز شدّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ فمن دونه؛ يترتب عليه عدم جواز شدّ الرحال إلى زيارة رحم أو طلب علم أو انتجاع رزق)، ومرة أخرى لا يفرّق الكاتب بين الدين والدنيا ولا بين ما شرعه الله وما لم يشرعه.

٣- وفي العدد ٩٢ ص٤٤ قرَّر الشيخ زكريا المصري (أنّ الاستحسان طريق إلى العودة بالناس إلى التزام بالشرع)، وادّعى (أن علماء الأصول قالوا بالاستحسان لأن الحوادث والمستجدّات قد تَسْتَدْعِيه في بعض الأحيان)، وأنهم (عرَّفوه بالعدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاصّ من الكتاب والسنة)؛ ويا عجبًا للدعاوى التي تصادم البيّنات فضلاً عن أنها لا تقوم على شيء منها؛ كيف يكون اتباع الهوى (وهو مصدر الاستحسان) طريقًا إلى العودة بأحدٍ إلى الالتزام بالشرع؟

ومن هم علماء الأصول الذين ادّعى الكاتب أنهم شرعوا أو ابتدعوا الاستحسان وهو شرْعٌ لم يأذن به الله كما قال أحد علماء الأصول في القرن السابع: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج١١، ص٣٤٤، ٣٤٥): (والقول بالمصالح المرسلة يشرع من الدين ما لم يأذن به الله [غالبًا]، وهي تُشْبه من وجوه مسألة الاستحسان والتحسين العقلي)، والقول الجامع أنّ الشريعة لا تهمل مصلحة قط، بل الله قد أكمل لنا الدّين، وأتمّ [علينا] النّعمة، وكثير مما ابتدعه

الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام والتصوّف حَسِبُوه نافعًا وحقًّا صوابًا ولم يكن كذلك)، بل كثيرٌ من الخارجين عن الإسلام ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

وكما قال أحد علماء الأصول في نهاية القرن الثاني: (الإمام الشافعي) - رحمه الله -: (من استحسن فقد شرّع)، وله رسالة مفصّلة عن ذلك بعنوان: (إبطال الاستحسان)، طُبعت على حاشية (الأم).

وكما قال أحد علماء الأصول في بداية القرن الثاني (الإمام مالك) - رحمه الله -: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلّا بما صلح به أولها).

ولو تُرِكَتْ أحكام الشريعة للاستحسان اليوم أو غدًا حتى قيام الساعة لضاع شرع الله، لأن العقول مختلفة وكلٌّ يرى صواب رأيه ولو رآه غيره خطأ. عفا الله عنّا وعنهم أجمعين.

١/٤/١٤٢١هـ



كفى الله المسلمين شرّ الفتن والبدع

وصلني كتاب (حتى لا تكون فتنة) للدكتور غازي القصيبي مع رسالة منه إجابة لرسالة سابقة مني، وبدا لي فيهما ما يلي:

١- واضح لي أن حكمه على طلاب العلم الفكريّين (سفر وزملائه) بالخمينيّة مبني على فهمه لما قالوه في تسجيلاتهم، وأن حكمهم عليه بالعلمانيّة مبنّي على فهمهم لما قاله في دواوين شعره، وعلى صفحات المجلات والجرائد، ورسالة الفاكس المزعومة، وكلا الحكمين خطأ؛ فإنّ رسول الله ﷺ غضب وأنكر على حِبّه وابن حِبّه أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - حكمه المبنّي على فهمه لواقع نُطْق المشرك المحارب كلمة التوحيد عندما علا السيف هامته **«هلّا شققت عن قلبه»**؟

٢- لقد كتبت لأقربهم إلى منهاج النبوة قبل اتّباعه للفكر مخالفًا تحليلاته السياسيّة السذاجة وتوقيعه بيان النصيحة المبتدعة لولي الأمر منذ وصول نسخة* منه إليّ، ولقد أظْهَرَت الحركيّة الحزبية الموصوفة زورًا بالإسلامية - وأسلوب البيان من أساليبها - رغبة في اغتصاب السلطة باسم المطالبة بتحكيم شرع الله بمنشوراتها وهجماتها المسلّحة ونَشْر خارطة في إحدى الصحف العالمية استبدل فيها عنوان (دولة الإخوان المسلمين) - لا الإسلام - بعنوان (الجمهورية العربية

السوريّة) أثناء فتنة حماة لا أعادها الله على المسلمين، وبخوضها الانتخابات مستقلّة أو متحالفة مع الأحزاب العلمانية ليحصل ممثّلوها على مقاعد في البرلمان بعد أن يُقسمُوا على الإخلاص للدستور (المخالف لشرع الله) ووزارة العدل المتخصصة في الحكم بغير ما أنزل الله، ورئاسة البلديات التي ترخّص أو تجدّد ترخيص الخمارات وبناء الكنائس، ووزارة الأوقاف، التي تطوّر أوثان المقامات.

وأكبر ظني أن القلة من دعاة السنة - في الكثرة من الحركيين - قد انساقوا إلى السّير في نهج الحركية والحزبية بتوقيعهم على البيان كما أحطأوا في انسياقهم إلى السّير في نهج الحركية والحزبية بتوقيعهم على البيان كما أخطأوا في انسياقهم إلى السّير في هذا النهج المنحرف بتحليلاتهم السياسيّة الساذجة للأحداث في دروس الدعوة الشرعية، وبالتالي الخلط بين الظن واليقين في العبادة التوقيفية منهاجًا ووسيلة كما يرى الشيخ / بكر أبو زيد وفقه الله في كتابه الفريد: (حكم الانتماء للجماعات والأحزاب الإسلامية).

٣- سبق أن رحّبت برأيك (أثناء الأحداث في عرب نيوز أو غيرها): أننا في المملكة المباركة لا نحتاج إلى المنحى الديمقراطي المعاصر فلنا اتجاهنا المستقلّ، وفهمت أنك تقصد أننا محكومون بشرع الله الذي تميّزت المملكة بتأسيسها نعليه منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وإن صحّ فهمي وفهمك فإننا لا نحتاج إلى انفصال مفتعل بين السّلطات وإن تميّزت كلّ سلطة بمسؤوليتها

المشروعة، ومع يقيني أن ما لقيصر هو لله من قَبْل ومن بَعْد؛ فإن مرجع الشؤون الدينيّة الفقهاء المعتدّ بهم من كبار العلماء، ومرجع الشؤون الدّنيويّة الأمراء، ووليّ الأمر العالم بشرع الله مَرْجعٌ فيهما معًا.

٤- خير مرحلة مرّت بها المملكة المباركة في رأيي: دولة الأئمة محمد بن سعود وعبدالعزيز بن محمد وسعود بن عبدالعزيز، والإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذته، للفريق الأول السّلطة التنفيذيّة الدنيويّة، وللفريق الثاني الحكم الشرعي والقضائي من الكتاب والسنة والفقه فيهما، - رحمهم الله - جميعًا وجزاهم خير جزائه عنّا وعن الإسلام وعن المسلمين عامة. ثم جاءت مرحلة أكثر تعقيدًا بما طرأ من تطوّر دنيويّ وسار الملك عبدالعزيز - رحمه الله - على نهج أجداده من حيث الرجوع إلى العلماء في كل أمر شرعي، وحدث اختلاف في بعض الأمور: أمن الجانب الدّيني أم الجانب الدنيوي: الاستعانة بغير المسلمين في استخراج النفط، الجمارك، وبدرجة أقلّ: استعمال وسائل دنيوية جديدة مثل السيارة والبرقيّة والهاتف، وقامت حرب بين بعض الإخوان غير العلماء وبين الملك، ولم يصل الخلاف بين العلماء وبين الملك إلى مثل هذا الدرك ولله الحمد والمنّة؛ واستمر الرجوع في الأمور الشرعية اليقينية إلى العلماء بلا منازع والتنفيذ في يد الحكّام بلا منازع.

والخلاف بين ولي الأمر وبين العلماء ليس بجديد فقد حدث في

أول وأبرز مظاهره بين أبي بكر وبقية الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - في قضية قتال مانعي الزكاة يقرّون بالتّوحيد ويصلّون ويصومون ويحجّون، وخالف الحاكم رأي الجميع وكان الخير في ذلك، وخالف الملك عبدالعزيز بعض الإخوان والعلماء في قضية الاستعانة بغير المسلمين في استخراج النفط ونحوه وكان الخير في ذلك بمشيئة الله تعالى.

يظهر مما تقدم أن على الحاكم الرجوع إلى العلماء لبيان شرع الله والحكم حبه في القضايا اليقينية: الاعتقاد والعبادات والمنصوص عليه من المعاملات، وللحاكم الفصل في القضايا الدنيوية التي لم يَرِدْ فيها نصّ بِحِلٍّ أو حُرمة، وعلى الحاكم استشارة العلماء في الأمور المشتبهة ثم الحكم بما أراه الله دون منازع، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾. أي: فإذا عزمت على إمضاء ما تريد بعد المشاورة فثق بالله لا بالمشاورة (السيوطي في الجلالين).

٥- في مسألة التوحيد (إفراد الله بالعبادة خاصة) لا مجال للتسّاهل فقد أدّى التّساهل في الماضي والحاضر إلى عبادة الأوثان تقرّبًا إلى الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، وطغت الأصنام على المسجد الحرام قبل الفتح الأكبر، ثم طغت أوثان المقامات والمزارات على أكثر بيوت الله وهي أوثان الجاهلية الأولى نفسها، ولكن مع فارق أن الأوّلين كانوا لا يتقربون بها إلى الله إلا

في الرخاء: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، أما الآخِرين فليجأون إليها في الرخاء وفي الشدة وفيما بينهما، هدى الجميع لاتباع شرعه.

وكان رسول الله ﷺ يتدرّج في النّكير وفق شرع الله مع من يتبول في المسجد مثلًا ومن يستأذنه في الزنى، ولكن لم يشرع التسامح ولا التدّرج في الإنكار في أمر الشرك فقد صحَّ عنه أنه قال: **«أجعلتني لله ندًا»** ؟ لمن قال له: ما شاء الله وشئت، وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال خطيب الوفد: **«بئس الخطيب أنت»** لمن قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، وقد تأخّر التشريع في الخمر والزنى والربا وفي الصلاة والجهاد والصوم والزكاة، وتقدم الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك للزنى والرّبا والسرقة دوافعها الغريزية التي قد تدلّ على حكمة التدّرج بشأنها، ولكن لا دوافع ولا موانع طبيعيّة تجيز شيئًا من ذلك بشأن إهمال التوحيد وإقتراف الشرك، وهذا يعني أن نسمّي الأشياء بأسمائها، ولا يعني ذلك نفي الإحسان في الموعظة ولا يعني ذلك التكفير قبل إقامة الحجة.

٦- مخالفتي لمنهج الشيخ/ القرضاوي، وبدرجة أكبر الغزالي والبوطي، وبدرجة أكبر فهمي هويدي ومحمد عمارة، هو مثالٌ لمخالفتي الفكر الإسلامي بعامة، ولا أنكر الاجتهاد من أهله الفقهاء في الدين، وهم غير هؤلاء وأمثالهم، ولكن أنكر الاجتهاد من غير

أهله أو مع وجود النص فيتفرّق المسلمون بتعدّد الأهواء الفكريّة.

المعيار الصحيح: الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين وخاصة في القرون الثلاثة الأُوَل في فهمهما، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾

وقال النبي ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

٧- لم اتّهم أحدًا بتعمّد الخروج على الكتاب والسّنّة، وإنما اتّهم المفكرين الإسلاميين بالخروج عن سبيل المؤمنين الأئمة الأعلام في فهمهما، حتى ردّ بعضهم الأحاديث الصحيحة إذا خالفت فهمه القاصر للقرآنى مثل الغزالي والتّرابي، وإليك رسالة لجمال سلطان (من خير ما كَتَبَ) في الردّ على منهج الغزالي، علّها توضح الأمر أكثر.

٨- لا يَغُرّنك ما تقرأ من دعوى (الباحثين المعاصرين) - وأخصّ العرب - عن نسبة الاجتهادات البشرية في الفقه مقارنة بالنصوص؛ فدعاوى العرب من كل اختصاص عريضة لأن الرّوادع الدّينيّة والعقليّة والخُلُقيّة ضعيفة جدًّا؛ فنحن نعيش على هامش الحضارة الدّنيويّة المعاصرة وعلى هامش الشرع نجترّ بعض المصطلحات الشرعية أو المهنيّة محاولين الحصول على المظهر إذا أعجزنا الكسل والتخلّف

الديني والدنيوي عن المساهمة الحقيقّة في القيادة الدينية والدنيوية.

٩- لا يمكن فصل النّصوص عن فهم السلف الصالح لها، وكان لهم زمام اللغة العربية وزمام العلوم الشرعة وما يؤدي إليها، وكان لهم المركز الأول في القيادة الدينية والدنيوية، وحتى النظر في المصالح المرسلة في المعاملات (عند من أقرّه) حيث لا نصّ من أمر ولا نهي صريح لم يكن معزولاً عن الفقه في النّصوص.

هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا وردّهم إلى دينه الحق ردًّا جميلًا.



التصوف شرعٌ لم يأذن به الله

رأيت كتاب الشيخ أبي الحسن الندّوي تجاوز الله عنا وعنه بعنوان (ربّانية لا رهبانيّة) وفرحت به أول الأمر، إذ ظننته إنكارًا لبدعة التّصوّف المحدثة، ورَدًّا للمخدوعين بها إلى منبع الشريعة الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقلت: لعلها هداية الله غلبت على التّنشئة الصوفيّة والبيئة الصوفيّة المحيطة به، ثم بسبب حرصه على الدين وبحثه عن الحق، وعضويته في مجلس الجامعة والرّابطة مع الشيخ ابن باز.

ولكنّي للأسف وجدت فيها تزيينًا لهذه البدعة الضالة المضلة وتثبيتًا لها بالإشارة المتكررة إلى أن: (العقدة أو سبب الخلاف بين أهل السنة وأهل التّصوف هي في التسمية والاصطلاح، فلو أزيل هذا الاسم [التصوّف] لانحلّت العقدة وهان الخَطْب) ص٧، وأن (القرآن نوّه عن التّصوف بلفظ التزكية ركنًا مستقلًا من أركان أربعة بُعِث الرسول ﷺ لتحقيقها في الآية الثانية من سورة الجمعة) ص٨، وأنّه (الطريق إلى الإحسان). ثم يتكلّم عن فقه الظاهر وفقه البطن ويلبسه لباسًا غير لباسه في الفكر الصّوفي قديمًا وحديثًا، وأن (فقه الباطن هو علم جاء مطابقًا للكتاب والسنة؛ ليتكفّل بتزكية النفوس وتهذيبها وتَحليتها بالفضائل الشرعية وتَخليتها عن الرذائل النفسية والخُلُقية) إلى

آخر ما أورده ص١٠، ممّا سمّاه (علم الباطن) أو (علم التصوف)، وقد كتبت له بما يلي:

أَعْجَب كيف يتّبع الشيخ الادّعاء الصوفي المتوارث بأن التصوف ما هو إلّا التزكية كما وردت في القرآن، والإحسان كما ورد في الحديث، وهو حَريّ أن يعلم أن الطريق الوحيد للتزكية والإحسان ما أنزله الله وحيًا في كتابه أو سنة رسوله، أما طريق (النقشبندية) التي مدح أحد شيوخها ص١٣، فجادّتها إلى التزكية والإحسان: الذّكر (الشريف) في القلب لا يتحرّك به اللسان خلافًا لسنة النبي ﷺ هذا إذا لم يصل كلّ أتباعها إلى ما يصل إليه بعضهم من الرّابطة الشريفة: (ذكر الله مستحضَرا صورة شيخه لأنّه طريقه الوحيد إلى الله، وأما طريق (الجشتيّة) فالمراقبة عند القبر والذكر بلفظ (الله ناظري الله حاضري) والطريقتان من الطرق الأربع التي يبايع عليها مسلموا القارة الهندية عدا أهل الحديث.

لقد ورد لفظ التزكية في القرآن بضعًا وعشرين مرة بمعاني مختلفة في معرض المدح والذم والحث والنهي وفي الدنيا والآخرة، ولو كان معناها في آية الجمعة مثلًا أن يجعلهم صوفيّة في الدنيا فهل يكون معناها في آية البقرة أَنْ لا يجعلهم صوفية يوم القيامة؟ وهل الخلاف بين السّنّة وبين البدعة الصوفيّة سواء في دروشتها الجاهلة أو فكرها الضاّل المتصلِ بالفكر الهندي الوثني يقتصر على (تغيير الاسم لينقشع الضّباب وتُحلّ العقدة النّفسيّة ويزول المقت والكراهية)

ص١٩ ، أم هو الخلاف بين الاتّباع والتّقيّد بنصّ الوحي في جهة وأفكار النّاس وشطحاتهم والتشريع دون إذن من الله في الجهة الأخرى؟

بأيّ نصٍّ شرع الله البيعة الصوفية للمسلمين؟ ص٤١ ، وهل بايع المسلمون القدوة في القرن الأول أحدًا غير بيعتهم الشرعية لولي الأمر؟

وأنّى لرجل (يجلس في زاوية بعيدة) أن (يجاهد التتار والمغول ويضيء ظلام القلوب) كما ذكر ص٣٦ .

هذه هي الصوفية على أحسن أحوالها: رجل يجلس في زاوية بعيدة يردّد ذكرًا ما ردّده رسول الله ﷺ ويستدل على دين الله بِقَال الشاعر - رحمه الله - ص٣٦، وصرَّح أرنلد ص٣٣، ونقل أرنلد ص٣٤)، وأن (مشايخ الصوفية هم الذين حفظوا للأمة دينها وأنقذوا الإسلام من أعدائه وأدخلوهم فيه) ص٣١ - ٣٢، بأي سلاح يا ترى: بالبخور والرقص والطّبل وترديد الذكر المبتدع، أم بحدثني قلبي عن ربي (البسطامي)، مما في الجبة إلا الله (الحلّاج)، وقال لي الحق: أنت الأصل وأنا الفرع (ابن عربي)؟

علَّمَنا رسول الله ﷺ أن نعالج الغضب بالاستعاذة من الشيطان، أما (شيخكم ومربيّكم الروحي ومن هو من كبار أئمة التصوف في هذا العصر) ص٣٦، فله علاج آخر غير الرجوع إلى العلاج النبوي (الرجوع إلى الشيخ والاتصال به، وبغير هذا لا يزول الغضب)، ص٤١ .

دين التصوف وشرعه الذي لم يأذن به الله قائم كما يتبين من مطالعة كتابكم على التأويل الباطل والحديث الموضوع والضعيف وتقديس البشر والاعتماد على الكشف؛ من أين أخذ شيخكم (اللطائف الست) ص٤٢، وكيف (كانت صحبة بعض شيوخه تحول التّراب تبرًا والحصى جوهرًا)؟ وهل طالبَنا شرع الله بالمحبة المرتبطة بالطاعة والمتابعة، أما بالعشق ص٤٤ - ٤٥؟

تنقلون عن شيخكم قصة الشيخ (العارف غلام رسول) أي: عبدالرسول وأنه لا يجالس أحدًا إلا ويصبح من القائمين في الليل، ولا يحضر وعظه مشرك مرّة واحدة إلا أسلم، ويذكر الله بلفظ (إلا الله) فتسمعه الهندوكيات فيردّدن: **«لا إله إلا الله»** أفضل مما جاء به الشيخ (ويُسْلِمْن) ص٤٤، لقد أوصلتم المشايخ المبتدعة إلى ما لم ينقل لنا المؤرخون أن رسول الله ﷺ وصل إليه؛ كان يجلس إلى بعض المشركين ويعظهم مرارًا وتكرارًا فلا يُسْلمون ومنهم عمّه أبو طالب، ويقول الله تعالى له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ويقول له: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وتقولون عن شيخكم عبدالقادر الرائبوري - رحمه الله - أنه (كان معترفًا بإخلاصه وقبوله عند الله كلّ الاعتراف) ص٤٦، وهل في وُسْع البشر التأكد من الإخلاص ومحله القلب، أو من القبول وعلمه عند الله وحده؟

وتنقلون عن شيخكم قوله: (إن على الفرد أداء الفرائض وسائر العبادات والدّوام على ذكر الله، فإذا وُجِّه إلى عمل خاصّ بإلهام من الله أو بإرشاد من شيخه أدّى هذا العمل، وإلا فيحسن له القناعة بالعادات والأذكار وهي تكفي لنجاته) ص٤٧، ويظهر لي من قبولكم هذا التخريف، أنكم تُقِرُّون سبيلين للتشريع لم يأذن بهما الله: الإلهام وإرشاد الشيخ، وترون أن الاكتفاء بالعبادات المشروعة سِمَة القناعة، وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه عزَّ وجلَّ: «**ما تقرب إليَّ عبدي بأفضل مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبّه**» رواه البخاري.

وتذكرون عن شيخكم ص٥٢، أنه (خطر سؤال على قلب أحد جلسائه فاطَّلع عليه الشيخ بفراسته ونور باطنه)، هل هذا موطن الفراسة أو علم ما في الصدور؟

وليس عندي من الصّبر ولا الوقت ما يعينني على متابعة هذه الملاحظات، ولم يكن عندي عزم على إبدائها لكم لولا أني أطّلعت على رسالة للأستاذ/ محمود الغراب هداه الله يردّ بها على الشيخ/ علي الطنطاوي أثابه الله إنكاره التصوّف الضالّ الذي مثّل لأبشعه وأكثره كُفْرًا بمؤلَّف الغراب: (شرح كلمات الصوفيّة والرّدّ على ابن تيمية) انتصارًا لفكر ابن عربي، وفي هذه الرسالة استشهاد بتقديركم لمؤلَّفه: (أرجو مواصلة هذا الإخراج العلمي الجميل لعلوم الشيخ الأكبر [ابن عربي] ولكم شكر الناس وجزاء من الله كريم) كيف يا

شيخ هدانا الله وإياك لأقرب من هذا رشدًا؟ هل تقرّ ما كتبه عن وحدة الوجود بعنوان (سبحان من أوجد الأشياء وهو عينها)؟ هل تقرّ قوله: (فيقول العبد الكامل الذي الحقّ على لسانه وسمعه وبصره وقواه وجوارحه: أنا الله، كأبي يزيد وأمثاله)؟ هل تقرّ تفسيرهم آية سورة البقرة المحكمة: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾: بأنها نزلت في الأولياء الذين ختم الله على قلوبهم فليس فيها إلا محبة الله، وعلى سمعهم فلا يسمعون إلّا منه، وعلى أبصارهم غشاوة فلا يرون إلّا إيّاه، ولهم عذاب عظيم مثلما عُذِّب محمد ﷺ عندما صار قاب قوسين أو أدنى فلم يصل؟ هل تقرّ الغراب على نَشْر كُتُب ابن عربي ومطالبة الناس بقبولها وعدم الرّدَ عليها بالعقل أو النقل؛ لأنه تلقّاها بطريق الكشف؟

كنّا نأسي لِمُدافعة بعض المتصوفة ومن خُدعوا بهم عن ابن عربي بأن كل ما نُسب إليه من أقوال الكفر مدسوس عليه، وهو دفاعٌ ظاهر البطلان، إذ لا تقتصر أقواله الكافرة على صفحة أو كتاب؛ بل هي منتشرة في جميع كتبه؛ إما أن يكون نِسْبة كلّ كتبه إليه جميعًا باطلة أو صحيحة، وكان ادعاء دسّها أهون مما جاء به الغراب: (هدانا الله وإياكم وإياه) مِنْ نَذْر نفسه لنشرها ومطالبة الناس بتأويلها عند الضرورة كأنها من نصوص الوحي، وليس عندنا لأقوال البشر إلا أن نعرضها على كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ فما وافقهما قُبِل وما خالفهما رُدّ، وبعد انقطاع الوحي ليس لنا اطلاع ولا حكم على ما في

الصدور، لنا الحكم على الظاهر، واللغة العربية ليست ملكًا للغراب ولا لابن عربي يتصرف فيها كيف شاء، بل إذا قال كلمة الكفر كفّرنا قوله حُكْمًا على ظاهر قوله على لا نيّته، ولا على ما لقي عليه ربّه.

أرجو الله أن يدّلنا وإيّاكم على الحق، وأن يثبتنا وإياكم عليه، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته.



حقوق للمرأة لم يشرعها

في شهر ذي القعدة عام ١٤٢٤هـ ادّعى د. عائض القرني في جريدة الحياة (وأيّده د. سلمان العودة في قناة الجزيرة) أنّ (المرأة السّعودية لم تُعْطَ حقوقها الشرعيّة) ودعا كلّ منهما إلى إعطائها هذه الحقوق.

ولأني بدراستي العلوم الشرعيّة وعملي في التعليم والدعوة خلال خمسين سنة الماضية لا أعرف أي حقّ شرعي للمرأة المسلمة السّعودية لم تنله مِنْ قَبْل أو مِنْ بَعْد؛ فقد كتبت للأخوين آملًا التّفضل بتعريفي بالحقوق الشرعيّة التي حُرِمَتْ منها أمهاتنا وبناتنا وأخواتنا - مستدلّين بنصوص الوحي وفِقْه الأئمة الأُوَل من القرون المفضّلة في هذه النّصوص.

فالذي أعرفه أن المرأة في السعودية أُعطيث حقوقًا لم تُعْطها أمّهات المؤمنين في عهد النّبوّة والخلافة الراشدة المهديّة، ولا النّساء بعدهن في القرون الثلاثة عشر الماضية؛ لأن الله لم يأمر بها، ولا سنّها رسوله ﷺ، وإنما أُقِرَّت في هذه البلاد والدولة المباركة أَخْذًا بما سُمّي بالمصالح المرسلة:

رخّص النبي ﷺ للمرأة المسلمة في الخروج للصلاة في مسجد الجماعة ولكنّه بيّن أن صلاتها في بيتها أفضل، ثم زاد الناس الرُّخَص

في هذا العصر بإنشاء بنوك نسائيّة وأسواق نسائيّة، وتخصيص أيام للنساء في حدائق الحيوان والملاهي، فضلًا عن إنشاء كلّيات نسائية للدراسة العليا ومساجد نسائيّة ملحقة بمباني المساجد العامّة، كأنَّ الله تعالى لم يأمر أمهات المؤمنين قدوة جميع المؤمنات بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ وكأن الرسول ﷺ لم يحثّ المرأة على القرار في بيتها وتجنّب الخروج منه ولو للصلاة.

المرأة في السّعودية بسبب تحكيم ما أنزل الله تُغطى حقها في الميراث وفي المهر، وفي التّملك عامّة، وفي البيع والشراء والخروج من بيتها لهذا الغرض عند الحاجة، وجميع حقوقها الشرعيَّة، وأُعْطِيَتْ حقوقًا لم ينزل بها الوحي، وإنَّما شرعتها وسائل الإعلام بتولّي الإعلاميين الفتوى قولًا على الله بغير علم.

أُذَكّر نفسي وأذكّر أخويَّ أن فتنة التبرج والسفور بدأت بمطالبة (قاسم أمين) أن تُعطى المرأة ما أقرّه بعض الفقهاء الأُوَل من حقها في كشف الوجه والكفّين، وكالعادة كشفت بعض النّساء بقية أعضاء جسمها عضوًا عضوًا، حتى لم يبق مستورًا غير العورة المغلّظة؛ ولهذا رأى ولاة الأمر في هذه البلاد والدولة المباركة الأخذ الأحوط من آراء الفقهاء سدًّا للذريعة.

وقد تلقيت إجابة موجزة من د. سلمان وفقه الله لم يذكر فيها حقًّا شرعيًّا واحدًا حُرِمَتْ منه المرأة السّعوديّة، بل إشارة إلى تحذير النبيّ ﷺ أصحابه من الإساءة إلى نسائهم، والنّقص الفردي في تنفيذ

الأمر والنهي لا يعني عدم بيان كالحقوق والواجبات وتقريرها والحكم بها، وبخاصّة في عهد النبي ﷺ، ثم في عهد أوّل دولة تقوم على منهاجه في الدين والدعوة بعد القرون المفضّلة. وفّق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.



لا يقال فلان شهيد

بيّن لنا رسول الله ﷺ مما أُوحِيَ إليه من ربّه: أنَّ الله: «**يقبض العلم - في آخر الزّمان - بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهَّالًا فَسُئِلوا، فأفتوا بغير علم، فَضَلّوا وأضلّوا**» متفق عليه.

وقد وصل المسلمون - بعد القرون المفضّلة - على حال قريبة من هذا المآل المظلم منذ ظهور الفاطميّين ثم العثمانّيين ومَنْ بينهما، ولكنَّ الله «**يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدّد لها دينها**» بالعودة به إلى أصله، فضلًا منه وإحسانًا.

وفي هذا العصر احتلَّ بعض طلاب العلم والفكر - ممن لا يملكون من العلم أكثر من ألقابه المستوردة - وبعض القُصَّاص من الواعظين - الذين لا يملكون أكثر من شُهْرَتهم بين العَوَامّ وأشباههم بحفظ الشعْر وغرائب القصص والأمثال ولحن القول - مجلس العالم بشرع الله والدّاعي إلى سبيله على بصيرة من كتابه وسنّة رسوله وفقه أئمة الدين.

وقبل أيام قدّمت لنا جريدة الحياة في عددها ١٤٢٦٨ بتاريخ ٣٠/ ١/ ١٤٢٣هـ نوعًا جديدًا من الرّؤوس المُنْتَحِلة لمجالس العلم والفتوى لم ينتظروا اتّخاذ النّاس إيّاهم رؤوسًا ولا سؤالهم فأفتوا بغير علم، بل

ونقضوا فتاوى كبار العلماء التي لا توافق أهواءهم.

قال شاعر مشهور يخاطب المفجّرين المنتحرين:

يشهد الله أنكم شهداءُ   يشهد الأنبياء والأولياء

والله يعلم أمن هذا افتراء عليه وعلى أنبيائه وهم خير أوليائه.

ويخاطب العلماء وعلى رأسهم المفتي العام لدولة التوحيد والسنة:

قل لمن دبّجوا الفتاوى رويدًا   رب فتوى تضجّ منها السّماء

دون أن يأتي بكتاب ولا أثارة من علم ينقض ما جاءوا به من محكم الكتاب وصحيح السنة وفقه أئمة القرون المفضّلة في نصوصهما، بل دعا بدعوى الجاهلية: ارفعوا أقلام العلم الشرعي واطووا صُفَحَه وكمُّوا أفواه المستفتين والمفتين والفقهاء، ودعوا الحكم للهوى وحده:

حين يدعو الجهاد يصمت حِبْر   ويراعٌ والكتب والفقهاءُ

حين يدعو الجهاد لا استفتاءَ   الفتاوى يومَ الجهاد الدّماءُ

والعلم بشرع الله يحمله من كل خَلَفٍ عُدُوْلُه، وليس منهم شعراء الظنون والعواطف فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

ومن هذا المثال يتبيّن أن الشعراء يتّبعون الغاوين أيضًا، فَهُم في

الغاوية يعمهون؛ فلا يصلحون - بأيّ حالٍ - مفتين، ولا ناقدين لفتاوى العُلماء شرعًا ولا عقلًا.

وهذا الشاعر نفسه - هدانا الله وإياه - حكم على طلاب العلم الفكريّين في (صوت الكويت ١٠/ ٥/ ١٤١٠هـ): (أن يَفرَقوا في مجالات تخصّصهم وألّا يَزُجُّوا بأنفسهم في بحار السّياسة حتى لا يَفْرَقوا ويُغْرِقوا شبابنا الحائر معهم)؛ فماله لا يقبل فتواه لغيره فيبقي في تَخَصُّصه السياسي، مع أن السّياسة تقوم على الظّنّ فلكلٍّ أن يرى فيها رأيه، وإذا كان من العلم بالسّياسة تشجيع التّفجير الانتحاري المعتدي الغادر الذي لا يميّز بين صغير وكبير ولا بين بريء ومذنب، فلن يكون الجهل بها أسوأ.

أمّا شرع الله فنجد اليقين عنه في كتاب الله تعالى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ . وفي صحيح البخاري باب ٧٧ من كتاب الجهاد ٥٦: (لا يقال فلان شهيد)، وحديث «**الله أعلم بمن يُجَاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُكْلَم في سبيله**» ، وحديث الرجل من أصحاب النّبي ﷺ وفي عسكره لا يترك للمشركين شاذّة ولا فاذّة إلا اتّبعها يَضْرِبُها بسيفه، حتى قال بعض الصّحابة : ما أجزأ منّا اليوم أحدٌكما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنّه من أهل النار**» ؛ لأنّه قتل نفسه. وفي صحيح مسلم

ذِكْر غلام النبي ﷺ الذي قُتِل يوم خيبر فقال بعض الصحابة: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله، فقال: «**كلَّا والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه نارًا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم**»، ورواه البخاري بلفظ آخر. هذا في الغزو مع النّبي ﷺ «**لتكون كلمة الله هي العليا**»، فكيف بالقتال للأرض والهوية وحَمِيَّة الجاهلية والحزبيّة؟ والله الموفق.

٢٠/ ٢/ ١٤٢٣هـ



لزوم ما لا يلزم في التّعليم

بين حين وآخر يُلوحّ بعض المسؤولين عن التعليم برأيهم أو عزمهم على فرض تعليم اللغة الإنكليزية (لِطُلّاب الصّفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية إضافةً إلى طلّاب المرحلتين المتوسّطة والثانوّية)، وعلى توفير الحاسب الآلي للطلاب (وبخاصة المرحلتين الأخيرتين من مراحل التّعليم العام).

وخلال ربع قرن من عملي في التعليم وصلتُ إلى قناعة تامّة بما يلي:

أ- دراسة اللغة الإنكليزية - وكل لغة أعجميّة - في بلاد العربية (في مراحل التعليم العام أو قبلها أو بعدها) لا تصل بالطّالب لأي نتيجة حقيقيّة أو وهمية يهدف إليها القائمون على التعليم، عدا الاستغناء بالشكل عن المضمون والتّظاهر بالتّطوير؛ للأسباب التالية:

١- اللّغة مهارة لفظيّة عمليّة تقوم على التّدريب العملي في بيئة حقيقيّة، ولا تصلح - لو صلح غيرها من المهارات العمليّة - للافتعال المعزول في الخبرة المدرسيّة النظريّة.

٢- اكتشفتُ أثناء عملي مديرًا للبعثات الخارجيّة ثم الإدارة العامّة للثقافة، ثم عندما جرّبت الدّراسة في الخارج باللغة الإنكليزية؛ أن الطالب الذي درس اللغة الإنكليزية في المرحلتين المتوسّطة والثانوية بنجاح يستوي هو والطالب الذي لم يعرف من هذه اللغة غير كتيّب

(كيف تتكلم الإنكليزيّة في أربعة أيام بلا معلم) في حاجة كلٍّ منهما إلى تعلّم الإنكليزية سنة دراسيّة كاملة على الأقل للالتحاق بالجماعات في إنكلترا وأمريكا ونحوهما.

وقد كنت - نفسي - من الصنف الثاني، ولم أشهد حالة واحدة تخالف هذه القاعدة أثناء دراستي أو أثناء عملي - تسع سنوات - مشرفًا على الدّراسين في الخارج.

٣- أثناء عملي مديرًا عامًّا للتعليم الثانوي- بضع سنوات أخرى - ووقوفي على المعدّل الحقيقي للرّسوب (في لغة المؤسسات التعليميّة» تبيَّن لي أن أهمّ سببٍ لترك الطّلاب الدراسة : فشلهم في اجتياز امتحان اللغة الإنكليزية (ومادتّي الرياضيات والعلوم).

وإذا فشل الطّالب سنتين أو توقّع الفشل ترك الدراسة إذ لا يوجد له طريق آخر لتحصيل المعرفة في المدارس الأخرى؛ كدينيّة أو عامّة أو مهنيَّة؛ فكلّها مبتلاة بالتزام وفَرْض النجاح في هذه الموادّ تقليدًا للدّول الصّناعية الأعجمية.

٤- عندما حصلتُ على موافقة ولاة الأمر - حفظهم الله قدوة صالحة على تجربة نظريّتي للدراسة الثانويّة في أربع مدارس سُمِّيت بالمدارس الشاملة ؛ كان من أهم ما تميَّزَت به: حصر الإلزام والالتزام بمادّتي الدين واللغة العربية؛ - فهما وحدهما ما ألزم الله به الطالب العربي شرعًا أو قَدَرًا - وتخييره فيما عدا ذلك من المواد الدّراسيّة.

وكانت النتيجة: أن عاد إلى مقاعد الدّراسة من اضطّر إلى تركها بسبب عجزه عن اجتياز الامتحان في مادّة ثانويّة لم يفرضها الله عليه بِشَرْعِهِ ولم يهيّئه لها بِقَدَره ومن جانب آخر: اختار٨٠٪ تقريبًا من الطلاب دراسة اللغة الإنكليزية، أمّا ٢٠٪ تقريبًا من الطلاب ممن يعجزون عن دراستها أو لا يرغبونها أو لا يحتاجون إليها فقد سلموا من ظلم وطغيان وحُمْق القاعدة الفاسدة: لزوم ما لا يلزم.

٥- ولو أُلزم الأطفال في الصّفوف الأخيرة من المرحلة الابتدائية أو في صفٍّ من صفوف المرحلة أو جميع صفوفها دراسة اللّغة الإنكليزيّة لزاد الهدر في الإنفاق المالي والجهد والوقت، ولزادت نِسَب الرسوب والتّسرّب وهي لا تحتمل المزيد، وَلَقُطِع طريق العلم في وجه عدد أكبر من الطّلاب ونحن نردّد كالببغاء بلا وَعْيٍ ولا صِدْقٍ: (العلم من المهد إلى اللحد).

ب- وإدخال الحاسب الآلي صفوف الدّراسة على أيّ وجه؛ إنّما مَثَله مَثَل تدريس اللغة الأعجمية (بل هو أسوأ): مجرد تقليد مُسْرف لا يسنده الشرع ولا العقل، والمستفيد الأوّل من ذلك الشركات الأعجميّة المنتجة وعملاؤها المحليّون على حساب الأمة والتعليم.

وإذا كان الحاسب الآلي مُهِمٌّ في هذا العصر لبعض الأفراد وبعض الوظائف والمهن، فإن من يحتاج إليه ويهتمُّ به يستطيع التدرب عليه بضعة أسابيع أو بضعة أشهر قبل (أو ثناء) مباشرة العمل في الوظيفة التي تتطلّبه، والتدريب أثناء العمل أعقل وأوفر وأنجع

أنواع التّدريب لإحاطة المدرّب والمتدرّب بحدود الحاجة والمهارة المطلوب التّدرّب عليها. والله الموفق.



إنّما يُلتَمس الإصلاح عند أهله

كتب صحفيٌّ جاهل بشرع الله في جريدة الوطن (العدد ٩٥٠ والتاريخ ٦/ ٣/ ١٤٢٤هـ) مستثيرًا رئيس مجلس الشورى ووزير التربية التعليم ونائبه في مواجهة ما يسميه (الإرهاب الاجتماعي، ومعاناة الوزارة منه وتأثيره على مناهج الدراسة العامة)، وأشار الصحفي إلى (عجز الوزير عن تجديد وقت لبداية تعليم الدين ووقت لنهايته، وشكوى نائبه من تدخل الكثيرين في أمورهم) أي: أمور التعليم، وركّز الصّحفي على مناهج تعليم الدّين والحاجة إلى وضعها تحت المجهر وضمن مسيرة التطور) وطالب الصحفي الوزير ونائبه: (بالوقوف بشجاعةٍ في وجه [ما سماه] الإرهاب الاجتماعي لإيقافه عند حدّه، فإن فَهِمَ وإلا فليقابل بالصمت حتى تتفتّح مسامّ عقله) مما يُمكن أن يسمّيه العلماء والتربويّون: (إرهابًا صحفيًا ناقصَ عقل ودين).

ولم تتوفّر للصحفي الشجاعة - وهو يعيب الوزير ونائبه بفقدها - فلم يقل بصراحة: (إرهاب علماء الشريعة بتدخّلهم في مناهج التّعليم الدّيني)، كما يظهر من مقاله هذا ومقالاته السابقة، ولعلّه تذكّر الآن أن هذه البلاد وهذه الدّولة المباركة إنما ميّزها الله على جميع البلاد والدّول منذ القرون المفضّلة بتأسيسها من أوّل يوم على العلم

الشرعي والعمل به والدعوة إليه أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر في الدَّاخل والخارج، (وأنّ لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في منتقصهم معلومة).

وليعلم هذا الصحفي الجاهل ومن يظنُّ ظنَّه البعيد عن الحق والعدل: أن الدولة المباركة استجابت كعادتها للدعوة إلى إصلاح التعليم وبالذات تطوير المناهج؛ فعينَّت لجنة لتحقيق ذلك - قبل ٣٠ سنة - ضمَّت عددًا من أبرز علماء الشريعة وعلى رأسهم الشيخ ناصر الحمد الراشد - رحمه الله -، والأدباء أو المثقفين أو الكتاب وعلى رأيهم عبد العزيز الرفاعي - رحمه الله-، والتربويّين وأبرزهم عبدالله خياط - رحمه الله -، والمتخصّصين فيما دون علوم الدّين من فنون اجتماعيّة ورياضيّة وطبيعية وفنيّة، وحَرِصَ ولاة الأمر على أن يشترك في هذه اللجنة خير المواطنين والوافدين في هذه البلاد المباركة علمًا وخُلُقًا وخبرةً ودينًا.

وبعد تسع سنوات من العمل المتواصل أقرّت اللجنة العليا للتعليم هذه المنهاج الجديدة، وبدأ تنفيذها، وفي الوقت نفسه بدأت الشكوى منها. والشكوى من أنْظمة التعليم (أو مناهجه أو معلّميه أو إداراته أو نتائجه) لا تكاد تتوقّف في أيّ زمان وأيّ مكان وعلى أي حال، لأن التعليم جزء من حياة كل فرد؛ معلّمًا أو متعلمًا، متأثّرًا به أو مؤثّرًا فيه، ولأن أفراد الأمة متفاوتون في نصيب كلٍّ نمنهم من الدين والعلم والعقل والخُلُق، ومتفاوتون في قسمة الله لكلٍّ منهم من آثاره.

وفيما عداالأنظمة الشويعّة والاشتراكية الدكتاتورية يتيسر للجميع - حتى للصّحفيّين مع بُعدهم عن التّخصص النظري والعملي وبُعدهم عن اليقين - إبداء رأيهم في التعليم بشرط الوقوف عند حدودهم وعدم محاولة فرض آرائهم؛ فمجرّد الاقتناع بالرأي لا يدّل على صحته. وعندما سبق الاتحاد السّوفيتي إلى إطلاق القمر الصّناعي الأول في الفضاء ضجّ الأمريكيّون - أكثر من المعتاد - بالشكوى، وأعيد النظر في التعليم (الرياضيات والعلوم، بخاصّة)، ولكن أمريكا سبقت إلى النزول على القمر بقرار سياسي وبأيدي وعقول من درسوا الرّياضيات على النظام القديم.

وعندما تفوّقت اليابان في الإنتاج الصناعي الخفيف وبالتّالي في التجارة به، ظن الكثيرون أن السّبب تفوُّق التنظيم التعليمي في اليابان، ولكن - بعد فحصه - تبيّن أنّه التنظيم التقليدي للتعليم الذي يشكو منه الناس في كلّ مكان بل يُعَدّ أكثر تخلّفًا عن مسيرة التطوير (التي أشار إليها الصحفي) لما عُرِف عن اليابانيّين من محافظة على التقاليد والعادات. ثم تقهقر الإنتاج الصّناعي في اليابان وبالتّالي عانت اليابان مما عاني منه غيرها في الأزمة الاقتصادية العالمية الحاضرة.

ولعل هذا الصحفي الجاهل ومن استثارهم يتذكّرون ما يلي:

١- (الحدّ الأدنى لوقت التعليم الديني) بداية سنّ السابعة (أول سنوات المرحلة الابتدائية)، قال رسول الله ﷺ: «**علّموا الصّبيّ**

الصّلاة ابن سبع» في رواية الترمذي عن سبره، (والحدّ الأقصى لوقت التعليم الديني): خروج الروح، أو بلوغ أرذل العمر، قال الله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾، وكان النبي ﷺ يعلّم آل بيته وأصحابه والناس كافة علم الدين حتى اللحظات الأخيرة من حياته فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عما ردّده ﷺ في مرض موته.

هذا هو شرع الله لهذه الأمة حتى تقوم الساعة؛ ولو تُرِكَ الأمر لأهواء البشر وظنونهم لضاع الدين وضاعت الأمة: ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ .

٢- أمر التّعليم الديني لا يؤتمن عليه غير أولي العلم (الديني) بالنصوص من الوحي وبالفقه في هذه النصوص.

وللمحافظة على دين الله (وعلى البلاد والدولة المباركة التي ميّزها الله بالتأسيس عليه من أوّل يوم) يجب فرض رقابة على منهاجه من هيئة كبار العلماء لئلا يتولّاه بعض الحزبيّين والحركيّين فيشغل وقت التعليم بما يُسمّونه الثقافة أو التوعية أو التربيّة الإسلامية مما لا يُسْمِن ولا يغني من جوع.

٣- وإن تعجَبْ فعجبٌ فزع هذا الصّحفي (وأمثاله ممن يصفون أنفسهم بالمفكرين الإسلاميين أو العلمانيين) مِن تَدَخُّل علماء الشريعة في اختصاصهم (تعليم الشريعة)، وهو (الصّحفي) الجاهل بشرع الله يملي توجيهاته على الجميع (ليوقفوا المتدخلين [غيره] عند حدّهم؛

فإن فهموا [مثل فهمه القاصر] وإلا فليشربوا من بحر الصّمت حتى تتفتّح مسامُّ عقولهم) كما تفتّحت مسامّ عقله على الجهل المركّب، الجريء على العلم والحق.

٤- الواقع أن كمّية المقررات زيدت قبل ربع قرن استجابة للطّلب والشكوى المستمرّة من ضعف الطّلاب في اللغة والعلوم الشرعيّة والفنون والمهارات والسّلوك، ولو نُقِصتْ كمّيّة المقرّرات اليوم لجاءت المطالبة بالزّيادة غدًا. ولقد قرأت نصًا لأفلاطون يشكو - قبل ٢٤٠٠ سنة - من مستوى الجيل الجديد في التّربية، وقرأت كتاب (التّعليم العالي) - ومؤلفه (هتشنز) مِنْ كبار التربويين العالمّيين ورَأَسَ جامعة (شيكاغو) عشرين سنة - يطالب بالعودة إلى عصر أفلاطون الذي اشتكى منه أفلاطون، وطرد الألعاب الرّياضيّة والمهارات الفنّية بل المهن جميعًا من الجامعات الأمريكية.

٥- وعندما كان أهل المدن في هذه المملكة المباركة قبل ربع قرن يشكون مُرّ الشكوى من التنظيم التعليمي وكثافته وسوء نتائجه انْتَدَبْتُ نفسي للإقامة بضعة أيّام في قرية (الحيمة) من قرى (أبها)، كانت شكواها: قِلّة المقررات الدّراسية مقارنة بوقت الدّراسة وإنجاز الطّلاب، كان الطّلاب في مدرستها الوحيدة الابتدائية يُنهون دراستهم للمقرّر التّعليمي الرّسمي خلال شهرين من بدء العام الدراسي، ويتسلون في الأشهر السبعة الباقية بنسخ الكتب الدّراسي، حتى تدرّب جميعهم على الخطّ الجميل إضافة إلى هضمهم الجيّد لجميع

موادّ الدراسة. ولم تتميَّز القرية عن المدن والقرى الأخرى إلا بأن أهلها من قبيلة بدويّة نزحوا إليها (حديثًا)، ولم يتوفّر لهم بَعْدُ الكهرباء ولا الهاتف ولا الماء الجاري ولا مذياع ولا الجرايد ولا التلفاز ولا السيارة، ولا يَصِلُهم من أخبار الخارج أو الداخل ما يعكّر صفاء أذهانهم، وكان المدرّسون من خريجي المعاهد الثانويّة الدّينيّة المصرية، وكان بعض الطلاب يمشون للدراسة يوميًّا مسافة تصل إلى سبعة كِيلو مترات في كلّ غدوة وكلّ روحة ستة أيام في الأسبوع.

٧- وعلى ما تقدم؛ فالأمر أعظم من أن يَحْتَكِر الرأي فيه مختصٌّ أو غير مختصّ من القائمين عليه فضلًا عن صحفيّ لا يتوفّر له ما يتوفّر لهم من العقل أو العلم أو الخبرة النظرية أو العملية.

بل يجب أن يشترك المعنيّون جميعًا من المواطنين (كلٌّ في حدود اختصاصه الدّيني والمِهني) في دراسة مستمرة لهذه القضيّة المعقّدة البالغة الأهمية في حياة الجميع الأخرويّة والدنيويّة.

وإذا كان لأحدٍ أن يُحرم من إبداء الرّأي في ذلك فهم الصحفيون ولهمْ علينا ألا نشاركهم في التّحليلات السياسيّة، بل ليت خطباء الجمعة منّا يُمنعون من تدنيس خُطَب الجمعة (العبادة اليقينة المفروضة) بأقاويل التّحليلات السّياسية المبنيّة على الظن والخَرص والإشاعة والهوى، والله ولي التوفيق.



لغة الجرايد ووهم الإصلاح

في جريدة عكاظ عدد (١٣٤٥٠) بتاريخ ٢٤/ ٤/ ١٤٢٤هـ كتب حسين شبكشي بلغة الجرايد المولّدة والمترجمة والمعرّبة عما أسماه (الشفافية ونبض الشارع)، وكتب وليد فتيحي عما أسماه (غَرْبَنَة) المرأة المسلمة، وكتب عبد اللطيف الميمني عمّا أسماه (أَدْلَجة) فكر الخوارج. ورأيت في مجموع ذلك ما يلي:

أ- طغيان لغة الجرايد على اللغة العربيّة الفصحي التي أُنْزل بها القرآن والسّنّة، وكُتِبَ بها فقه أئمة الفقه في القرون المفضّلة، وحُمِلَ بها دين الله الحق إلى النّاس كافّة، وحَفِظَ بها الله دينه.

ب- طغيان الصحفيين على منهاج النّبوّة في الدِّين والدعوة باحتلالهم كراسي العلماء والمفتين حاكمين بغير شرع الله في بلاد التوحيد والسنة. وفي صحفية واحدة عدّة أمثال على ذلك:

١- ينهى حسين شبكشي عن المعروف من حث خطباء الجمعة المسلمين على التمسك بالسّنّة وتحذيرهم من البدع ومنها بدعة المولد التي لم يتلفّظ رسول الله ﷺ باسمها ولم يأمر بها ولم يفعلها ولم يقرّها هو ولا خلفاؤه الراشدون ولا صحابته ولا التّابعون لهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضّلة حتى قلّد مبتدعة المسلمين مبتدعة النّصارى في العهد الفاطمي العُبَيْدي.

٢- يأمر حسين شبكشي بالمنكر من إخضاع خطبة الجمعة (العبادة المفروضة) لما يسمّيه (نَبْض الشارع).

ومعلوم لمن يفقه دين الله على منهاج النّبوة أن رسول الله ﷺ (ومن اهتدى بهديه وتأسّى بسنتّه) لم يخرج بخطبة الجمعة عن الثوابت (من نصوص وأحكام الشّريعة) مرّة واحدة، ولم يصرف كلمة واحدة منها إلى شيء من الفكر والظّنّ والشائعات، ولا الأحداث والطوارئ العظيمة في عهده على أهميتها وخطرها؛ لا غزوة بدر ولا ما بعدها من الغزوات ولا حادثة الإفك ولا ذكرى ما قلبها من البعثة والإسراء والمعراج والهجرة.

كان في كلّ خُطَبه يوم الجمعة يتلو الآي من كتاب ربه يعلّمهم به أمر دينهم، ويأمرهم به وينهاهم، ويذكّرهم به الموت والاستعداد له، ويرغّبهم به في طاعته وثوابه، ويحذّرهم به من معصيته وعقابه.

وأصحّ ما ورد ذلك وأصرَحه ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أم هشام بنت حارثة قالت: (ما أخذت ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ إلّا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها على المنبر كلّ جمعة إذا خطب الناس)، وفي رواية: (يخطب بها كل جمعة).

٣- يتّهم حسين شبكشي خطباء الجمعة بنشر (الفكر الإرهابي والتّفجيري) في خطبهم (المرهبة والمنفّرة والمعادية).

والخطب الشرعيّة الملتزمة بالشّريعة من نصوص وأحكام الكتاب والسّنّة بفهم أئمة القرون المفضّلة لا تفتن ولا تُرْهِب ولا تُفَجِّر ولا

تُنفّر ولا تعتدي، ولا تُعادي إلّا أعداء الدين، ولا توالي إلا أولياء الله، ولا تَنْصُر إلّا السّنّة ولا تحارب إلّا البدعة.

أما الخطب المبتدعة التي يتمنّاها حسين شبكشي محكومة (بِنَبْض الشارع) فهي الفاسدة المفسدة الضَالّة المضّلة المفتونة الفاتنة.

وأمّا ما يتعلق بالخلط الفاسد بين الجهاد الشرعي وبين الاعتداء والخطف والقتل وزعزعة الأمر وترويع المسلمين أو غيرهم بغير حقّ سواء بالتنفيذ أو التأييد في الداخل أو في الخارج؛ فلابدَّ من إنكاره في خُطَب الجمعة وغيرها وبيان مخالفته لشرع الله لا بنبض الشارع.

٢- يظنّ وليد فتيحي أن خير علاج لما يسمّيه مَنْ نَقَلَ عنه: (غَرْبَنة المرأة المسلمة والانحرافات السّلوكيّة) إنشاء أندية للفتيات على الشواطئ تشمل الصّالات الرياضيّة وأحواض السّباحة ومراكز اللياقة والتزلج على الجليد) مستشهدًا بقول جريء مثله على شرع الله بغير علم ولا هدى ولا صراط مستقيم ، يدّعي أنّ (في العهد النبوي والخلافة الراشدة كان ثمّة حضور تألّقت فيه المرأة على كافة الأصعدة) وأن (من تولى كِبْر تغيير ذلك الفقهاء آثمون اجترأوا على نصوص القرآن والسنّة بمؤلفات لا ريب أنها تحتاج إلى إعادة نظر).

وهذه الدّعوى الكاذبة المفترية على شرع الله وعلى عهد النّبوّة والخلافة وفقهاء الأمة إنما هي حلقة في سلسلة صحفيّة طويلة من الاعتداء على الإسلام وأئمته وفقهه أسأل الله أن يلهم ولاة الأمر في بلاد التوحيد والسنة، المميزّة من الله بالدعوة إليهما ونفي الخبث

عنهما، قطع هذه السّلسلة الضّالّة وقطع دابر العابثين بشرع الله وبمنهاج الدَّولة الوحيدة القائمة عليه. وإنْ قصد وليد فتيحي ومن نَقَل عنه مهداهما الله - بالغرْبَنَة: التّغريب والتقليد الغربي فمن أين جاءا بنوادي الفتيات على الشواطئ والصّالات الرياضيّة ومراكز اللياقة والتّزلج على الجليد؟ أم هي المداواة بالتي كانت هي الداء. أما نصوص القرآن فتأمر نساء النبيّ قدوةً لمتّبعات سنته بالقرار في البيوت وتنهاهنّ عن تبرج الجاهليّة الأولى - فضلًا عن الأخيرة -، وأمّا نصوص السنة فتخُضُّ المسلمات على الصّلاة في دورهن خير لهنّ من الصلاة وراء النبي في مسجده، وأما في عهد النبوّة والخلافة الراشدة فلم يكن لخير النساء المؤمنات (حضور) في ولاية الأمر، ولا مجلس أهل الحلّ والعقد (الشورى) ولا القضاء، ولا في أصل الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولا الوظائف العامّة فضلًا عن أندية الفتيات على الشواطئ والتزلّج على الجليد.

٦- ويظنّ عبداللطيف الميني أن ما يسمّيه (مرحلة الأدْلَجَة) في فكر الخوارج المُحْدَثين يحتاج إلى دراسة متخصّصة ومتعمّقة حول مصادرها الفكرية والتّنظيميّة.

ولا أرى الأمر من الغموض بحيث يستحقّ هذا التعقيد المُقَلِّد للشكل الغربي، فقد بيّنه بما لا يحتمل الشك ولا العناء قائد هذا الفكر (أيمن الظواهري) فيما نشراته جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٤٠٧ بتاريخ ١٩/ ٩/ ١٤٢٢هـ من مذاكرته: (إن سيّد قطب هو الذي

وضع دستور [التكفيريّين الجهاديين] في كتابه الدّيناميت: (معالم في الطريق)، وإن فكر سيّد [وَحْدَه] هو مصدر الإحياء الأصولي، وإن كتابه: (العدالة الاجتماعية في الإسلام) يُعَدّ أهمّ إنتاج عقلي وفكري للتّيارات الأصلية، وإن فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة [التي وصفها بالإسلامية] ضدّ [من سمّاهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدّد يومًا بعد يوم).

ومن يقرأ كتاب (العدالة الاجتماعية) المطبوع عام ١٩٤٩م وكتاب (معركة الإسلام والرأسماليّة) المطبوع عام (١٩٥٠) لسيّد تجاوز الله عنّا وعنه، ويعرف صِلَتَه بالثوار في بداية عهد الثورة المصريّة ٥٢/ ١٩٥٣ يرى بوضوح أن فكر الثورة الاشتراكي مقتبس منهما، ثم انقلب السّحر على السّاحر فسعى سيّد إلى اغتيال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعدد من الولاة وتفجير محطّة الكهرباء وبعض المنشآت دفاعًا عن حزب الإخوان المسلمين، فحاكمه الثوار وأعدموه بسبب ذلك كما أكّده سيّد نفسه في بيان الدّفاع عن نفسه أثناء محاكمته ونَشَره أنصاره في جريدة (المسلمون) ابتداء من عددها الثاني من وثيقةٍ بخط يده، ثم طبعه أنصاره في الشركة السعودية للأبحاث والتّسويق ضمن سلسلة كتاب الشّرق الأوسط بعنوان: (لماذا أعدموني)، (انظر ص٥٠ - ٦١).

وكما شهد أتباع فكره وشَهِدَتْ معظم كتبه - أوّلها وآخره وبخاصّة ما وصف منها زورًا بالإسلاميين - له بالإمامة في التكفير

والتفجير والخروج على الشرع والحُكْم والسّنة والجماعة والإجماع (راجع فكر سيد قطب بين رأيين من منشورات دار السّنة بالخبر عام ١٤٢٢هـ)؛ فإن كتبه - أوّلها وأخرها - تشهد له بالإمامة في الجرأة على القول على الله ودينه والفقه والفقهاء فيه بغير علم في هذا الزمان، فشمّر الصحفيون والمفكرون والشعراء والممثلون والأطباء وغيرهم من المهنيين الدنيويين يحذون حذوه في الجرأة على الدِّين والأمة والولاية.

وكان أكبر همّ سيّد وحزبه: سياسة الحكم والمال والثورة من أجلهما: (الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيّتها بيدها.. ينبغي أن تفكّر في وسائل الخلاص.. وتختار؛ إنّ أحدًا لن يقدّم لهذه الجماهير عونًا إلا أنفسها، فعليها أن تُغنى بأمرها، ولا تتطلّع إلى معونة أخرى) معركة الإسلام والرأسمالية ص ١١٣، ط١٣ عام ١٤١٤هـ دار الشروق.

واستجابت الجماهير العربية لهذا النّداء المنشور قبل الثّورة المصريّة ببضع سنوات، فماذا كانت النتيجة في كلّ شَعْب أجاب النداء في مختلف البلاد المسلمة من الجانب الدِّيني أو الدنيوي.

وهل بعد هذا البيان حاجة إلى (دراسة متخصصة ومتعمّقة للبحث عن جذور الفكر الخارجي المُحْدَث)؟

وقى الله الإسلام والمسلمين شرّ هذا الفكر وشرّ المخدوعين به وتجاوز عن الجميع وردّهم ردًّا جميلًا.

مطاردة الخيال

عندما قدّر الله تعالى على خلقه - في العقود الثلاثة الأخيرة - التّوجه إلى التديّن في كلّ مكان وفي كل ملّة؛ لم يَنبتْ غراس ما سُمّي بالصّحوة الإسلامية في مجالس العلم الشرعي، ولا اعْتَنَى بها علماؤه، ولا قادها الدُّعاة إلى الله على بصيرة بالآية من كتاب الله تعالى ولا الحديث من سنة نبيه ﷺ ولا بالفقه في الدين من أهله في القرون المفضلة؛ بل أراد الله - ولا رادّ لقضائه وهو أعلم وأحكم - أن يَنْبُتَ التّوجّه العالمي إلى التّديّن - فجأة وبلا سبب ظاهر - في أرض سبخة لا يوجد فيها عِلْمٌ ولا عالِمٌ بشرع الله، فتيسّر للشيطان - أعاذ الله الجميع منه - أن يخرِفها عن الوحي إلى الفكر وعن اليقين إلى الظّنّ والعاطفة.

ظهر الاتجاه إلى التّديّن - أوّل ما ظهر - في أمريكا وعلى الأخصّ في ولاية كاليفورنيا حيث يتوافر فيها - أكثر من أي مكان آخر - الوقت والمال والثقافة للبحث عن جديد. وكان أوّل دعاته المتصوفة الوثنيّون من طائفة كريشنا الهندوسيّة، وتركّزت دعوتهم على ضرورة البحث عن إرضاء الرّغبات (والتّطلعات الإنسانية) من داخل النّفس لا من خارجها، من الرّوح لا من الجسد، أو كما يقول النّصارى: (من الرّوحانيات لا من المادّيات).

ولمّا كانت أمريكا تقود العالم إلى كلّ في سُبُل الحياة اليوميّة، وكانت ولاية كاليفورنيا (مدينة لوس أنجلس على الأخص) تقود أمريكا إلى التجديد الماديّ والفكري بإنتاج (هولي وُد) وجاذبيّتها بدأ التوجّه إلى التديّن هناك بين أثرياء الممثلين والمُغَنّين.

ولأن النصرانيّة الحاضرة - مثل الهندوسية - تدعو إلى تغليب الجانب الموصوف (بالرّوحي) على الجانب الموصوف بالمادّي كانت أوّل الأديان استجابة لدعوة كريشنا «للبحث عن الذات» فظهر ما سُمّي (بالولادة من جديد)، أي: العودة إلى النصرانية بعد بضع سنوات من حركة كريشنا.

وبعدها - بما لا يزيد عن سنتين - ظهر الاتّجاه إلى التّدين بين الطّلاب المسلمين في أمريكا وبدأت (جمعيات الطّلاب المسلمين) تحتلّ مكان (جمعيات الطلاب العرب) الذي احتكرته الأخيرة فيما مضى.

ولكن جمعيّات الطلاب العرب ثم المسلمين لم تكن مؤهّلة لقيادة أفرادها - فضلًا عن بقيّة الأمة - إلى الدّين الحق؛ فلم يكن بين قيادتها ولا أعضائها عالم بشرع الله، وإنما قامت الجمعيّات مِنْ قَبْل على الفكر السّياسي والقوميّة العربيّة، ثم قامت بَعْد تغيير عنوانها نعلى الحركيّة والفكر السياسي الموصوف بالإسلامي، منشغلة بذلك - وشاغلة غيرها به - عن الوحي والفقه فيه.

وكان أبرز فكر أنتجه من يصفون أنفسهم بالإسلاميين: فكر سيّد

قطب تجاوز الله عنّا وعنه، كان أَلْحَنَ المفكّرين المسلمين بلسان الصّحافة السّلس الذي تستهل النّفس قبوله والتأثر والتأثير به، والنّفس أمارة بالسّوء إلا ما رحم ربِّي؛ فتلقَّفه دعاة الصحوة الإسلامية الفكرية الحركية في البلاد العربية يشغلون به مجالس الذكر والعلم في المساجد (الاجتماعات وخُطَب الجمعة والمكتبات ودُور القرآن) وفي المدارس (جمعيات التوعية الدينيّة وبرامج التّربية الدينية والثقافة الإسلامية والرّحلات والمراكز الصّيفيّة). واستغل الحزبيّون الحركيّون إقبال الشّباب - بخاصة - والناس - بعامة - على التّديّن العاطفية، فقادوهم إلى منهاجهم وأهدافهم وتنظيماتهم.

وبفضل الله كثرت المساجد وكثر المصلّون فيها، ولكن أُهمِل جانب نشر الاعتقاد والسّنة والأحكام الشرعيّة والتحذير من الشرك والابتداع، وانتشرت جمعيّات تحفيظ القرآن الكريم، ولكن أُهمِل تدبّره وتبليغه.

وكثر طَلَبُ وعَرْض وسائل نشر التدين الفكري من كتب وتسجيلات ولقاءات وندوات ومهرجانات ومحاضرات، وقلّت دروس العلم. وكثر الخطباء والمحاضرون والمفتون والواعظون من القُصّاص، وقلّ الإقبال على العلماء بشرع الله وعلى فتاوى العلم الشرعي ودروسه.

وكما مضت سنّة الأولين عاد الأقلّون من الناس شيبًا وشبّانًا إلى الحق واليقين (من الوحي والفقه فيه)، واتجه الأكثرون شبّانًا وشيبًا

إلى الفكر والعاطفة والظن، كما قال خالقهم عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

وسَعَت الحركات والجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلاميّة منذ البداية للاستفادة من هذا الحدث العظيم في تكثير عدد أفرادها وتحقيق ظهورها وغَلَبَتِها، وكانت (جماعة الإخوان المسلمين) في ولاية إنديانا من الولايات المتحدة الأمريكية - بعد (جماعة المسلمين السّود) - أول من تنبّه للحدث وحاول استغلاله لصالح حزبه، ولعل هذا هو السبب في اختيار فكر سيد قطب في البلاد العربية وفكر المودودي في البلاد الأعجمية - وهما وَجْهان لِعُمْلَةٍ واحدة - منهاجًا للتّوجه الجديد إلى التّديّن بحسن نية وسوء عمل.

وفِكْر سيّد قطب ومثله - بدرجة أقلّ - فِكر المودودي تجاوز الله عنّا وعنهما صالحٌ لاجتذاب الناس - وبخاصّة الشباب - إلى التّدين عامّة، ولكنه قاصر - بدرجة مخزية - عن قيادتهم إلى الدين الحق - كما أوحى اتلله به، وسَنّه رسوله، وفَقِهه مُتّبعوا سُنَّتِه، ولم يكن أيٌّ منهما مسلّح بالعلم الشرعي ولا بالمنهاج الشرعي لتبليغه، ولم يكن أكبر همّهما - فيما يظهر من منهاج وإنتاج كلٍّ منهما - نَشْرُ التوحيد والسنة والعمل بأحكام الشريعة ولا العلم بها، ولا محاربة الشّرك والبدع المسيطرة على القلوب والأعمال والمساجد في بلديهما. كان أكبر همّهما في إطار الأحكام الشرعيّة عامّة ما سُمّي بالحاكمية وهي جزء من توحيد الربوبية أُسِيءَ عَرْضُه وَوُضِع في تغير موضعه الذي

اختاره الله له ويُذكر بشعار الخوارج الأول: (لا حكم إلا بالله).

وكان أهمّ وسائلهما - ومن تبعهما - التّفسير والسيرة، والتفسير الحديث - في أحسن أحواله -: تكرار واختصار وتهذيب لمؤلفات المفسرين الأوائل، وهو في أسوأ أحواله: قول على الله بغير علم؛ ومنه تفسيرهما.

والسيرة يختلط فيها الصحيح والضّعيف والحقيقة والخيال، وهما - وأتباعهما - غير مؤهلين لتمحيصها وتمييزها.

وكان لابد - والحال على ما ذكرت - من أن تنزلق (الصّحوة الإسلامية) في مزالق الفكر السّياسي العنيف ووسائله العلنيّة والسّرّيّة، وكان من أبرزها: التّكفير والاعتزال والهجرة، والتّعصب لمنهاج الحزب والإعجاب به وانتقاصِ غيره، والاغتيال والتّفجير، وقَتْل النّفس التي حرم الله إلا بالحق، من المسلمين أو من تغيره، وزعزعة الأمن، وبثّ الرعب ونشر الفتنة.

وكان أبرز مطيَّة لهذا الفساد في الأرض: قضية فلسطين؛ ركبها الموصوفون بالإسلاميين كما ركبها القوميون والشيوعيون النصارى.

وبدأت التفجيرات في أوروبا، واختطاف الطّائرات الأوروبية والأمريكية وتدميرها، وساءت سُمْعة العرب وهي أهون النتائج سواء.

وركبت (الصّحوة الإسلاميّة والقوميّة) مطايا أكثر إغراقًا في الخيال:

١- العمّال الكوريّون الذين أشاع قادة الصّحوة أنهم جنود مدرّبون أعدّتهم أمريكا لاحتلال حقول النفط، ولا تسأل: لماذا تحتاج أمريكا لذلك أو أوروبا؟ وهم من اكتشف النفط واستخرجه واستعمله لمصلحة الجميع، فالعقل عند الحركيّين مثل الشرع في إجازته.

٢- وجاء الخميني، وأعلنت وسائل إعلامه أن من أهمّ أهدافه: تحرير فلسطين، وتسابق الحركيّون لتأييده طمعًا فيما يظهر - في الحصول على نصيب من نجاحه في الاستيلاء على الحكم باسم الدّين، ولما خذلهم سعوا لتقليد حركته: أتباع جهيمان في البلد الحرام، والإخوان في سوريا، وجبهة الإنقاذ في الجزائر - بالوسيلة الدّيمقراطية ثم بالاغتيالات.

٣- وجاءت قضيّة الخلاف على الأرض والسّلطة في أفغانستان، ثم (البوسنيا هِرزتزكوفينا) ثم (الشيشان)، وتسابق الحركيّون لاستغلالها، ولم تتحرّك قلوبهم - فيما ظهر منهم - ولا جوارحهم من قبل لإصلاح المعتقد والدعوة إلى السّنّة ومحاربة الأوثان والبدع التي يتقرّب بها المجاهدون إلى الله مِنْ قَبْل ومِنْ بَعْد.

٤- واحتلّ البعث العراقي الكويت بحجة تحرير فلسطين، وفرح الحركيّون بنكبة الكويت، ودعوا الله في خُطَب الجمعة أن تمتدّ النّكبة إلى جيرانها، وأعلنوا ولاءهم لصدّام (الدين) حسين حامي حزب البعث (ومعلّمه الأول ميشيل عفلق النصراني)، مع أنهم يحكمون على الحزب في سوريا وعلى المعلم نفسه بالإلحاد.

وخَذَلهم صدَّام (الدين) فلم يعطهم نصيبًا في الحُكم، ولكن كافأهم ببعض المظاهر (الإسلاميّة) مثل كتابة (الله أكبر) على العَلَم ليجدوا عذرًا في تأييده، وبقي نائبه الأوّل نصرانيًا ونائبة الثاني صوفيًا أكثر مناهَضَةً لمنهاج النّبوّة في الدِّين والدعوة، وبقي حزب البعث يحكم (الأغلبيّة الشيعية، والأقلية المنتسبة إلى السّنّة، واليزيدية والصائبة والنصارى) بعقيدته ومنهاجه. ونَعَق الحركيّون بدعوى حزب البعث أن القوات الدولية (التي سخّرها الله لردّ كعدوانه) إنما جاءت للتّنصير والاحتلال، كأنهم يجهلون أنها علمانيّة - في وصفهم لها - وأن الاحتلال العسكري انقرض قبل عشرات السّنين، ولم ينكروا بقاء الأوثان تملأ السّهل والجبل في بلاد العرب والعجم؛ في العراق وأفغانستان والبوسنيا والشيشان، وهي أكبر الكبائر؛ لا تحوجهم إلى اختراع هدف خيالي لحروبهم المبتدعة. والحرب آخر مراحل الدّعوة المنسيّة لا أوّلها.

٥- وجاءت القوّات الدّولية مرة أخرى ونجحت في تحرير العراق من طغيان صدّام (الدين) وحزبه وبطانته، وعاد الحركيّون يردّدون إشاعة (هولاكو الجديد) القديمة المتجددة بأن هذه القوات جاءت للتّنصير والاحتلال، وعدّوا قتالها من الجهاد في سبيل الله.

٦- أضيفت أسماء جديدة للأشباح الذين يرفعهم الحركيّون أعلامًا وقدوة من المعتصم تجاوز الله عنه الذي تولّي كبره في فَرْض فتنة وبدعة خلق القرآن وسِجْن الإمام أحمد وتعذيبه، إلى محمد الدّرّة،

طفل قُتِلَ في أحد الاشتباكات بين اليهود والمنتفضين عليهم، لا يُذرى أيُهم قتله، ولم يكن هو ولا والده من المشاركين في الانتفاضة، ولمّا وَجَد المصوّر أن آلته التقطت مشهد موته، عرف أنّه عثر عن كنز من كنوز الإثارة والمنفعة، وأخيرًا خرافة (منقاش) في سلسلة الأشباح التي يحرّك الجهاديّون المبْتَدعة بها عواطف الغوغاء ويسيّرونهم في طريقهم المنحرف.

ولا تَعْجَبْ إذا دافع أحد المعلّمين الجامعيّين عن هذا التخريف والخداع بحجة التّشجيع والإلهام، واستدلّ بإعجاب العرب بخرافة (وامعتصماه) منذ أكثر من عشرة قرون)، (رغم أنّه لا أحدَ يملك القدرة على إثبات الرّواية)؛ وهذه نتيجة عدم الرّدّ إلى الكتاب والسنة والفقه عند التنازع بل إلى العقل والفكر حتى اتّحد المعلمون والمتعلمون في الضّلال والخيال والابتداع وتنافسوا في الظّنّ والهوى والتّيه.

٧- وحتى تستمرّ مكيدة الشيطان والنّفس والهوى صَرَف الثّلاثة الحركّيين وأتبَاعهم عن علماء الأمة فاختاروا بعض طلبة العلم القاصرين عن مَرَاقِيْه العالية (وإن حملوا ألقابه أو لم يحملوها)، وكافأهم هؤلاء بالفتاوى التي ترضيهم تعدّيًا على شرع الله وتجاوزًا لحدوده.

وختامًا أرجو الله أن يتجاوز عن الجميع ويردّهم إلى دينه ردًّا جميلًا.

وعلى كبار علماء التّوحيد والسنة - لا المثقفين ولا المفكرين - تحمّل مسؤولياتهم وأداء الأمانة التي حَمَلوها (وسيحاسبون عليها) والسّعي حثيثًا لتصحيح التّوجّه الدّيني وبيان الحقّ للنّاس - ولو غضب أكثرهم - ومحاولة صرفهم - بالجدّ والمثابرة - عن الفكر والظنّ والخيال إلى الوحي واليقين.

وعلى ولاة أمر المسلمين أن يطهّروا وسائل الإعلام العامّة والخاصّة من الفكر المنحرف ولو وُصِف زورًا بالإسلامي، ومن دعاته المخدوعين أو المخادعين به، ومِنْ تَدخّل غير علماء الأمة المعتدّ بهم في أمور الدين من فتوى وتأويل وانتقاد، استجابة لأمر الله وشرعه.

وهدى الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا

٢١/ ٣/ ١٤٢٤هـ



حقوق الرّاعي والرّعية

هذه موازنة موجزة بين حقوق الراعي وحقوق الرعيّة (تساهم في بيان ما اختلف فيه من الحق)، مستنبطةٌ من كتاب الله وسنّة رسوله وفقه أئمة الهدى في نصوصهما، عملًا بقول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾، وعلى الكاتب أن لا يُخفي نصًّا يخالف رأيه، وعلى القارئ التسليم راضيًا مطمئنًا؛ لأمر الله وشرعه.

١- حق الراعي على رعيّته: طاعته فيما ليس فيه معصية، والدعاء له، والنصح له، قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾، وقال رسول الله ﷺ: **«من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات؛ مات ميتة جاهلية»** [رواه مسلم] وقال ﷺ: **«الدين النصيحة؛ لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم»**.

ومن النصيحة للجميع: الدعاء للرّاعي بالصلاح والتوفيق والهداية، قال الإمام أحمد بن حنبل لمّا ذُكر ولي الأمر -في عهده- وجوره وفسقه: (إنّي لأدعو له بالصلاح والعافية، لئن حدث به حدث لَتَنظُرنّ ما يحلّ بالإسلام). كتابة السنة للخلال ص ٨٤].

وقال البربهاري: (إذا رأيت الرجل يدعو على السّلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعته يدعو للسّلطان بالصلاح فاعلم أنه

صاحب سُنّة.. فَأُمِرْنا أن ندعو لهم ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين). [شرح السنة ص٥١].

٢- وحقّ الرّعية على الراعي: النصح لرعيّته في أمور الدين أولًا، ثم في أمور الدنيا ثانيًا؛ بنشر الاعتقاد الصحيح والسّنّة، بالتعليم والحكم والدعوة إلى الله على بصيرة، وبمنع البدع وأعظمها بناء المساجد على أوثان الأضرحة والمقامات والمشاهد المزارات، وما دونها من سائر بدع العبادات.

وللرعيّة على الراعي حق الإحسان والرعاية، وألّا يكلّفهم ما لا يطيقون، وأن يوفّر لهم من الخدمات المعيشية ما يطيق، وأن يكون قدوة صالحة في الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرّم الله عليه الجنة**» [رواه البخاري]؛ فلا يختصُّ الأمر بالسّلطان وحده؛ بل «**كلكم راعٍ وكلٌّ مسؤول عن رعيته**».

٣- وموجز القول لمن قَبِلَ حكم الله في كتابه وسنة رسوله: على الرّعية طاعة الرّاعي وإن ظلم وجار، وإن فسق وفجر، إلا أن يأمر أحدًا من رعيته بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال النبي ﷺ: «**عليك السمع والطاعة في عُسْرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرةٍ عليك**» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «**إنما**

ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: **«تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»** [متفق عليه]، وقال ﷺ: **«من يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني»** [متفق عليه]. بل قال ﷺ: **«يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنّون بسنّتي»**، قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟ قال ﷺ: **«تَسمع وتُطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»** [رواه مسلم]. بل قال ﷺ: **«كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون [أو يُمِيتون] الصلاة عن وقتها»**؟ قال أبو ذر: فما تأمرني؟ قال ﷺ: **«صلّ الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصلّ فإنّها لك نافلة»** [رواه مسلم]، ومع ظهور المعاصي من الشرك فما دونه في مسلمي اليوم إلا من رحم الله؛ لم يُؤْمَرْ أَحَدٌ باقترافها. لو حدث ذلك وجبت طاعة الرّاعي في طاعة الله ومعصيته في معصية الله كما قال عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أحد رواة الحديث عن ذلك. وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.



رأيٌ في بيان الحركيين

كتب عدد من المواطنين في دولةٍ أُسِّست من أوّل يوم على الدعوة على التوحيد والسّنة ومحاربة الشرك والبدعة (وهو ما لم يحدث في تاريخ المسلمين منذ انتهاء القرون المفضّلة وقيام دولة الفاطميين ثم العثمانيين غير الرّاشدة وغير المهدّية وما بينهما؛ كتبوا ما أسموه (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله).

ومع حسن الظّنّ بنية الكاتبين، فقد رأيت أن من واجب البلاغ إبداء رأي في هذه الرؤية وبيان ما أدين الله به من موافقة أو مخالفة لها:

وبما أن المعيار الصحيح الوحيد (للحكم عليها أَوْلها) الذي يقرّه شرع الله ويجب أن يقبله كل مسلم هو الكتاب والسنة بفهم فقهاء الأمة في القرون المفضلة؛ فإن هذه (الرؤية) تخالف هذا المعيار أكثر مما توافقه:

١- لم تتضمّن (الرّؤية) من أدلة الكتاب والسنة والفقه فيهما غير حديث واحد حُذِف منه أهم ما فيه (معياره) **«لله ولكتابه ولرسوله»** فكان حديث (الرؤية) المبتور: «**الدين النصيحة.. لأئمة المسلمين وعامّتهم**»

٢- لغة (الرّؤية) بعيدة عن لغة الكتاب والسنة، وقريبة جدًّا من

لغة الجريدة والإذاعة الدّارجة، بل هي في الغالب مقتبسة من لغة النُّظُم العلمانيّة: الدّستور، القانون، الانتخاب، حقوق الإنسان، السّلطة، النقابات، المجتمع، الثقافة، المؤتمر الوطني، العدالة الاجتماعية، الشّفافية.

٣- كاتبو (الرّؤية) خليط عجيب من البشر: الإسلامي (كما يصف نفسه) والشيوعي والقومي، تجمعهم صفة الحزبيّة، ويفقد الداعي إلى الله على منهاج النبّوة.

٤- رأوا أن بناء (دولة المؤسّسات الدّستوريّة) يقوم - أولًا - على (تطبيق الشرع فيما نصّ عليه من أمور العبادات والمعاملات) ونسوا ما هو أهم من العبادات والمعاملات: الاعتقاد، وفاتهم أن أساس الشرع: الوحي من الله عزَّ وجلَّ على أنبيائه، وأساس الدستور ومؤسّساته: فكر البشر؛ اليهود والنصارى والملحدون والوثنيون.

٥- ورأوا أن بناء (دولة المؤسسات الدستورية) يقوم - ثانيًا - على رضا مواطنيها، وفاتهم أن رضا الناس غاية لا يمكن إدراكها؛ فهذه أمريكا أكبر، أقوى وأغني دولة مؤسسات دستوريّة لم يرض عنها كثيرٌ من مواطنيها بل قتلوا وحاولوا قتل عدد من رؤسائها.

بل هذه دولة الإسلام في عصر الخلافة الراشدة المهديّة لم يرض عنها من مواطنيها من (تقرّب إلى الله) بقتل الخليفة الثالث والرابع ممن شهد لهم النبي ﷺ بالرّشد والهدى والجنّة. وفاتهم أن الطريق

الوحيد لرضا الخلق هو إرضاء الخالق كما نزل بذلك الوحي.

وليس (الدّستور ولا مؤسّساته) من هدي الله ولا من سنّة رسوله ولا من سبيل المؤمنين في القرون المفضّلة، وإنما هو التقليد الشكلي للعلمانية.

٦- رأوا أن (العدل أساس الملك)، وهذه جملة يحفظها الأطفال قبل أن تسقط أسنان الرضاع، وقد أمر الله بالعدل مع المسلم والكافر، والعدل إنما يكون بشريعة الله لا بتقليد المغضوب عليهم والضّالين عنها: قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

أما (العدالة الاجتماعيّة) المأخوذة من فكر سيّد قطب تجاوز الله عنا وعنه فليست مما (أوجب الله) ولا (عدّها من قواعد الملة) كما ادّعى كاتبو (الرّؤية) ولا سنّها رسوله ﷺ بقوله ولا فعلهم ولا تقريره ولا نَطَق بها أحد من صحابته أو تابعيهم أو أيّ ممن فقهاء الأمة في أي عصر قبل أن يذرّ قرن الفكر الإسلامي التائه عن شرع الله.

٧- ورأوا (تشكيل مجلس الشورى بالانتخاب المباشر ليجسّد سلطة أهل الحل والعقد التشريعيّة الذين يُرَدُّ لهم الأمر بعد الله ورسوله؛ لأنهم يمثّلون إجماع الأمة).

ولم يصدر عن رسول الله ﷺ قول ولا فعل ولا تقرير يوافق هذه (الرّؤية)، ولم يرد لفظ الانتخاب على لسانه (مباشرًا أو غير مباشر)، ولم يعرفه أو يعمل به أحد من خلفائه ولا صحابته ولا متّبعي سنته.

وليس لهذه (الرّؤية) مرجع في هذا الأمر غير التّقليد الذي بدأه اليونان الوثنيون قبل ثلاثة آلاف سنة وعمل له الأورُبيّون النصارى في القرنين الأخيرين، ولم يضمن الحق ولا العدل في اليونان، ولا في البلاد التي قلّدتهم، وبخاصّة بلاد المسلمين التي تراوحت فيها نتيجة الانتخاب في الغالب بين ٨٥ و١٠٠% لصالح الحزب أو الفرد الحاكم دائمًا أبدًا.

وفي شريعة الله: (أهل الحلّ والعقد) هم العلماء بشرع الله وهم النّخبة القليلة المؤهّلة للحلّ والعقد، ولا يجوز وصفهم بالسّلطة التّشريعية ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾

وحُكْم الأغلبيّة الانتخابية حكم الطاغوت أجنبي عن شرع الله فقد وصف الله الأكثرية من الناس بأنهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ و﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بينما وصف عباده الصالحين بالقلّة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾

٨- وليست الشورى من أركان الإسلام ولا أركان الإيمان، ولا من العبادات المفروضة، ونتيجتها ليست ملزمة للنبي ﷺ كما ادّعي أهل (الرّؤية) ولا لأحد من متّبعي سنته، فقد قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ (فهداه الله سبحانه إلى إمضاء ما يريد بعد المشاورة متوكّلًا على الله لا على عزمه ولا

مشورة غيره)، وعمل بذلك خليفته الأول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - فلم يعمل بنتيجة المشاورة بل برأيه المخالف لها في قتال مانعي الزكاة، واختلف علماء الأمة في وجوب الشورى أو نَدْبِها على قولين أرجحهما النّدب.

٩- وكان من خير ما تضمنّت (الرؤية): (استقلال ما سُمِّي بالسّلطة القضائية وذلك مقرّر نظريًّا)، وشمولها (اللجان شبه القضائيّة ولهيئة الادعاء العام). ولكن شابها المطالبة (بتدوين الأحكام وتوحيدها وتقنين التعزيرات) ثم مناقضة ذلك بالمطالبة (بتوسيع وتعميق برامج إعداد القضاة ليكونوا أكثر قدرة على حلول عمليّة للمشكلات المتداخلة المستجدّة).

وإنما عارض علماء الأمة منذ الإمام مالك - رحمه الله - (توحيد وتقنين الأحكام) لئلّا يضيّقوا ما وسّع الله فيه وليكون القضاة أكثر قدرة على اختيار الحكم المناسب في مكانه وزمانه من بين اجتهادات علماء الأمة وفقههم في الدين.

١٠- من أسوأ ما تضمّنته الرؤية: (كفالة ممارسة الحقوق العامّة في حريّة الرَّأي والتّعبير والتجمّع وسائر حقوق الإنسان التي أقرّها الإسلام قبل أن تصبح قرارات دوليّة)؛ فادّعاء (إقرار الإسلام حريَّة الرأي والتّعبير والتجمّع وسائر حقوق الإنسان التي أصبحت قرارات دوليّة) افتراءٌ على الله وعلى رسوله وعلى فقهاء الأمة الأُوَل وعلى دين الإسلام.

والرأي والتعبير والتّجمع مقيّد بأحكام الشريعة في الاعتقاد والعبادة والمعاملة؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾، والرّأي من الهوى إذا لم يَنْقَدْ ويتقيَّدْ بشرع الله، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾.

١١- ورأى أصحاب (الرؤية): (مشروعية قيام مؤسسات المجتمع المدني كالنّوادي والجمعيّات والنقابات المهنيّة والثقافية والاجتماعيّة والاقتصادية). ومما ميَّز الله به هذه البلاد المباركة خُلُوّها من الجماعات والأحزاب وبخاصة الدينية التي حذر الله عباده (المتقين غضبه الراجين ثوابه) منها: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾، ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

و(النقابات والاتحادات) مثل (المظاهرات والاضرابات) وسيلة لِفَرض رأي أو مصلحة فِئةٍ من الناس على الأغلبيّة، وممن المظاهر الحضاريّة الفاسدة.

١٣- وتضَمَّنَت (الرّؤية) اقتراحات (نظريّة) لعلاج المشكلات الاقتصاديّة، منها ما هو صالح ومنها ما هو دونت ذلك، ولكن يجمعها ألّا جديد فيها فالجميع يردّدونها؛ كلٌ يطلبها من الآخر وينسى نفسه.

وينسى الكتبة السّبب الأول للمعاناة الاقتصادية العالمية: الإسراف الذي نهى الله عباده عنه وبيَّن أنه لا يحبّه سواء تعلّق بالدين أو بالدنيا: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١﴾؛ فالإسراف حرام في الحلال والحرام، في الدين والدنيا، ولكنَّ الغالبيّة من البشر غارقون فيه إلى آذانهم؛ الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والعالم والجاهل، والغني والفقير؛ إسراف في المركب وفي الطّعام والشراب واللباس والأثاث، وإسراف في تشييد المساجد، وإسراف في زخرفة المصاحف، وإسراف في العبادة والمحبة (تقربًا إلى الله بمعصيته)، وإسراف في التّرف وفي استهلاك الخدمات العامّة وبخاصة: الماء والكهرباء والهاتف، والمطالِبُون بالإصلاح لا يقلّون عن تغيرهم مساهمة في الإفساد؛ المهم مجرّد المطالبة.

فهل يقبل أصحاب (الرّؤية) الحل الشرعي: **«القصد في الفقر والغنى»**؟ لا يبدو ذلك من (رؤيتهم) فهم يطالبون مرّةً بترشيد الإنفاق نظريًا ومرة بزيادته عمليًا - بحجة (ضمان المواطن حقوقه الحياتيّة)، وبالتّالي: فقده الحافز على العمل لكسب عيشه في بلد يؤمه قريبٌ من ٣٥٪ من عدد مواطنيه وافدين من أدنى الأرض وأقصاها يَكْفُون أكثر المواطنين مؤونة الحركة لخدمة أنفسهم وأهليهم والضّرب في الأرض وابتغاء فضل الله.

١٢- وتتضمّن (الرُّؤية): (دورًا أكبر للمرأة في الشأن العام) بحجة

أنها (نِصْف المجتمع). ودورها (الذي كفلته الشريعة) هو في الشأن الخاص، أما أن تزاحم الرجال وتنافسهم فيما خصّهم الله به فهو خروج عن الشريعة والفطرة؛ فأعظم وظيفة لها: رعاية بيتها لتكون سَكَنًا لزوجها ومربّية لأطفالها، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، وقال النبي ﷺ: «**فالرّجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسؤولة عن رعيتها**» [رواه البخاري ومسلم]، وقال لنساء المؤمنين: «**صلاتكن في دوركنَّ أفضل من صلاتكن في مسجد الجماعة**» [رواه ابن خزيمة، صحيح الترغيب]، فكيف بخروجها لما هو دون الصّلاة من لهوٍ أو عمل لم يضطرّها الله له وبعض الرجال عاطلين. وليست مثل الرجل عقلًا ولا جسمًا ولا عاطفةً ولا وظيفةً، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

والذين يُرجِفون بأن (نصف المجتمع معطّل) من أصحاب (الرؤية) أو غيرهم من الصّحفيين والممثّلين والمهرجين يعلمون أن المرأة عاملة في كلّ زمان ومكان في الوظيفة التي خلقها الله لها وفَطَرها عليها وأعدَّها لتحمّلها، ولكنهم يختارون لها وظيفةً أخرى تُرضي به (المظهر الحضاري) وتُسخط الله وتعصي سُنّة رسوله، وتُخالف شرعه وفطرته، وتُغيّر خَلْقَه، وتُهمل الوظيفة الأهمّ «للشأن الخاص» وبالتالي (للشأن العام).

١٤- وأخيرًا، تتضمن (الرؤية): العفو العام وإعادة الحقوق لمن تسمّيهم دعاة الإصلاح المهتمّين بالشأن العام)، ولكن ما يظنّه (كتّاب الرؤية) إصلاحًا يراه الدعاة إلى الله (على بصيرة من وحي الله والفقه فيه) إفسادًا: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾، وفّق الله الراعي والرعية إلى التزام شرعه وأعاذهم من نزغات الشيطان ووساوسه وأعوانه، وهداهم لأقرب من هذا رشدًا، وصلى الله وسلم على محمد وآل وأتباعه.



حقوق البلد الحرام

اطّلعت على رسالة أو خُطْبة جمعة بعنوان: (الإعلام بقدسيّة البلد الحرام) وبدا لي ما يلي:

١- تحرّى الكاتب السجع في العنوان وغيره، ولا أعرف عنوانًا مسجوعًا لأئمة الفقه في الدّين في القرون المفضّلة، ولم يَرِدْ في كتب الفقه والاعتقاد والتفسير وغيرها من العلوم الشرعيّة شيء من السّجع المتكلّف إلا بعد مرحلة الضّعف في التدين والاهتمام بالشكل.

٢- استشهَدَ ص٢، ببيت من النظم على أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل وتَرَكَ الاستدلال بالآية المحكمة: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وترك الحديث الصحيح، وهما الأولى فيما يتعلق بالدّين.

وفي كونه ﷺ أفضل الخلق خلاف؛ فجبريل - عليه السلام - رسول الله تعالى إليه وإنّما ثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ: «سيّد ولد آدم يوم القيامة».

والأَوْلى ألّا يوصف الله ورسوله إلّا بما نزل به الوحي، وإلّا فلا حُجَة لأهل السنة على أهل البدعة في أوصافهم المبتدعة للنبي ﷺ مثل: (خدّه التفاح شامي، بطنه طيّ الحرير حين يشتدّ الزفير، خدّه أحمر مورّد، ريقه سكر مكرّر، ذو الوجه الأنور والجبين الأزهر).. إلخ.

٣- وكما أن أوصاف الله ورسوله يجب أن تنزّه عن الغزل والعشق الصّوفي فكذلك - في رأيي - بيته الحرام (ومسجد رسوله ﷺ).

وفي ص٧ أورد أبياتًا من ميميّة الإمام ابن القيم العاطفيّة تصف المسجد الحرام، وميميّته - رحمه الله - من أجود شعر العلماء وما ذلك - في رأيي - إلا لأنه حين قالها كان حديث عهدٍ بالتّصوّف فكان شيطانها الشعري أقوى، وللتأكد تُقَارَنُ الميميّة باللاميّة في ذم المتصوّفة وبالنونية الكافية الشافية فشيطانهما الشعري ضعيف.

وفي بداية الميميّة استعمل - رحمه الله - ما يشبه الغَزَل الصّوفي الدِّيني المبتدع، بل مرَّ على ذكر (الأوتاد) وهم مثل الأقطاب من الوصف الصوفي لأوليائهم.

٤- أكثر من (يسكب العبرات على العَرَصات) ص٧، هم المبتدعة بالشرك الأكبر فما دونه، ولم أر في الكتاب ولا في السنة ولا في فقه الأئمة الأولى فيهما أنَّ هذا من شعائر الحج أو العمرة فرضًا ولا نفلًا.

٥- وصْفُ المسجد الحرام آخر ص٥، وأوّل ص٦، بأنه - من لَدُن إبراهيم - (لم يَعْلُ فيه راية غير راية التوحيد، ولم يرتفع فيه شعار يناهض الملّة الحنيفيَّة والإيمان)؛ غير صحيح؛ فقد ارتفعت فيه بدعُ وراياتُ وشعاراتُ وأصواتُ الوثنيّين من قريش ثمّ من المنتمين للإسلام زمن الفاطميين والعثمانيين ومَنْ بينهما، وأحيط بالأصنام والأنصاب زمنًا طويلًا، ولو اعتمدنا على الكتاب والسنة والفقه فيهما

بدلًا من السجع والنّظم والمحسّنات والزخارف اللفظية لما اختلفنا في وصف بيت الله الحرام.

٦- (وبنفسي) عدم (قول القائل: محاسنه هيولي كلّ حُسْنٍ، ومغناطيس أفئدة الرجال) ص٩، كَمْ من العرب أو العجم يعرف كلمة (هيولى)؟ أمات المغناطيس فمعروف ولكن ليس من كلمات الله ولا كلام رسوله ولا الفقه في الدين ولا من لغة العرب.

٧- وهذه الرسالة غير صالحة شرعًا لأن تكون خطبةَ الصلاة الجمعة في المسجد الحرام ولا في غيره، فخطبة صلاة الجمعة إنما فرضها الله لتعليم الناس الدين وتذكيرهم بالله وبآلائه وأيامه وشرعه، ولم تلتزم خطبة النبي ﷺ سجعًا ولم تتضمّن شعرًا ولم تخرج عن الوحي إلى الفكر ولا عن اليقين إلى الظن والعاطفة، ولا عن الثوابت الشرعيّة إلى الأحداث الطّارئة.

جزى الله الكاتب خير الجزاء على اهتمامه بتوجيه الحجاج والمعتمرين وسكّان مكة المباركة، وعلى صبْرِه على ملحوظات أخيه.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته.

٧/ ٥/ ١٤٢٤هـ



وظيفة المرأة

في العدد ١٢٩٩٢ من جريدة عكاظ في ٩/ ١/ ١٤٢٣هـ مقال لصحفي جاهل بشرع الله عن أحوال المرأة في بلاد التوحيد والسنة، ولو كان لوالده العالم الرّبّاني - رحمه الله - أن يتقلّب في قبره لما قرّ له قرار حين يعلم أن أحد أبنائه ينقض غَزْلَه التّربوي الشرعي وجُهْدَه لإقامة بيته وبيوت المسلمين في البلد الحرام مهبط الوحي ومهد الرسالة على شرع الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وأي فرقٍ بين الوالد - أحد كبار الدعاة إلى السّنّة وخطباء المسجد الحرام - وبين الوالد الذي ينقم على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وعلى رئاسة تعليم البنات (إعلاء أسوار المدارس) ، ويعدّ الحجاب الشرعي الذي ميّز الله به هذه البلاد وهذه الدولة المباركة - مع مميزات عظيمة أخرى كلها دينيّة - يعدّه: (عادات قديمة تبدو نشازًا في القرن العشرين) مصدرها: (الهوس الرّجالي والنّظرة القاصرة المرأة وعقدة فرويد) ونتيجتها: (تعطيل نصف المجتمع أو إلغاؤه)، ولا يظهر له هدف إلا إبراز اسمه بشذوذ فكره.

ويتجاوز الصحفي حدود مهنته وفكره؛ فيدخل في خلاف العلماء حول مشروعيّة الحجاب أوحدوده ، ويأمل أنّ (ما حدث في نيويورك

في منتدى (دافوس) دليلٌ على السّير في طريق الشفاء من عقدة المرأة) خاب أمله.

وسبب اهتمامه بما يسمّيه: (إعادة النظر في بعض هذه المسلّمات والخروج من أسرها): الرغبة في (أن نسير بمحاذاة الحياة المعاصرة لا أن نتخلّف عنها)، والتخلّف عن السّير بمحاذاة الهاوية أمرٌ من الشرع والعقل.

وعلماء الشريعة المعتدّ بهم اختلفوا في حكم تغطية الوجه والكفين ، ولكنهم لم يختلفوا في حكم تَرْك المرأة وظيفتها الشرعيّة والطبيعيّة: رعاية بيتها وزوجها وأولادها للاشتراك في المؤتمرات العالميّة أو المحليّة والأعمال العامّة فيما لا ضرورة له - وبخاصّة في وقتٍ يشكو الرجال - الذين وصفهم خالقهم بأنهم قوامون على النساء - يشكون البطالة.

وقد قال الله تعالى لقدوة النساء: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وقال النبي ﷺ لنساء المؤمنين: «**صلاتكن في دوركنَّ أفضل من صلاتكن في مسجد الجماعة**» [صحيح الترغيب والترهيب].

ومع أنه ﷺ رخّص للمرأة في الخروج إلى المسجد - رخصة لا عزيمة - ونهى عن منعها منه؛ فقد اشترط عدم التّزيّن، وقال: «**وبيوتهن خير لهن**».

والذي يظنّ أن فرض الحجاب على المسلمة تعطيل أو إلغاء لوظيفتها في الحياة، فإنما أُتِيَ من ضلاله أو جهله بوظيفة المرأة التي اختارها الله لها وهيّأها لها؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾. وبعدل الله وحكمته ورحمته قسم بينهما وظائف الحياة: للرجل القوامة: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾، ولا تتمّ القوامة إلّا بعمل الرجل خارج بيته ضاربًا في الأرض مبتغيًا من فضل الله، وللمرأة الحمل والولادة والتربية وإعداد البيت ليكون كما وصفه الله ﴿سَكَنًا﴾ صالحًا. قال النبي ﷺ: «**والمرأة راعية في بيتها وهي مسؤولة عن رعيتها**» [متفق عليه]، ولن تقوم بهذه المسؤولية العظيمة - وكفى بها وظيفة - إلا بعملها داخل البيت، فالحقيقة - شرعًا وعقلًا - أن الذين يشجّعون المرأة على الخروج من بيتها (لتقوم بواجب العمل العامّ والتواصل بالعالم بالمؤتمرات الدّولية) - كما قال الصّحفي نفسه في مقال سابق - هم الذين يعطّلون وظيفتها الشرعيّة والطّبيعيّة أو يلغونها، ويَجْنُون على المرأة والزّوج والولد والأمّة والدّين والمسلمين.

ولم يرَ الصحابة - رضي الله عنهم - أنَّ على المرأة - أو أنَّ لها - مشاركة أتقى الرجال وأعفّهم وأعلمهم في شورى السّقيفة - مثلًا - لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ بعد موته، ولم ير عمر - رضي الله عنه - أن على المرأة - أو أنَّ لها - أن تكون من بين من وُكِل،

إليهم اختيار الخليفة من بعده، وفي النساء - يومئذ - أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وأمثالها ممن هنَّ أفقه في دين الله من أكثر الرّجال.

أما قضيّة الحجاب فأمر آخر، ورغم الخلاف فيها فلم يقل أحد من العلماء المذكورين في المقال السّابق أو اللاحق أنه يجوز للمرأة كشفت وجهها عند خوف الفتنة، ولم يشكّ عاقل بأن احتمال الفتنة اليوم أكثر منه في عصر النبوة عندما حذَّر النبي ﷺ من فتنة النساء، وأن احتمال الافتتان بكشف الوجه أكبر من احتمال الافتتان بكشف الرّكبة، الأمر الذي اتّفقوا على تحريمه.

وقد استدل الصّحفي بآية ليست في كتاب الله: (أفلا تدبّرون)، في سياق يقتضي الاستشهاد بآية: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ولكن الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾، وكل ما في القرآن يهدي إلى شرع الله وفطرته التي فَطَر الناس عليها، وليس من الشرع ولا من الفطرة إخراج المرأة من أمن بيتها وإبعادها عن رعيّتها التي سيسألها الله عنها، ولم يُعْرف ذلك في بلاد المسلمين قبل أن ينادي (قاسم أمين) تجاوز الله عنا وعنه بكشف وجه المرأة وكفّيها بحجّة الخلاف بين العلماء في حكمه، والنتيجة معروفة لمن تفكّر وتدبّر.

إن الله قد ميَّز هذه البلاد وهذه الدولة المباركة بتأسيسها من أول يوم على الدَّعوة إلى الكتاب والسنة، وميَّزها براية التوحيد، وميَّزها

بتحكيم شرع الله، وميَّزها بخدمة الحرمين وتطهيرهما من المحدثات والفتن والشبهات والشهوات، على هذا تعاهد الإمامان محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود - رحمهما الله -، وعلى هذا قام مُلْك عبدالعزيز - رحمه الله - وذريته من بعده ثبَّتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، وبهذا أهّلهم الله لقيادة الأمم إلى الحقّ والعدل، ونزَّههم عن اتباع كل ناعق يُحَكِّم هواه أو هوى غيره (ممن لا خلاق لهم في الدنيا ولا في الآخرة) ويتنكّب حُكْم الله، وهو يحسب أنه على هدى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

ردَّا الله الجميع إلي دينه ردًّا جميلًا، وهداهم لأقرب من هذا رشدًا.



مداواة الغلق بدائه

قرأت مقدمة الشيخ زهير الشاويش لرسالة الشيخ محمد شقره: (سيّد قطب بين الغالين فيه والجافين عليه) وبدت لي أكثر من ملحوظة عليها:

١- الرسالة صغيرة وحديثة وكاتبها معرف وهو ينفي رضاه بهذه المقدمة، فما الدافع إلى كتابتها؟ الدفاع عن حسن البنا، وسيد قطب - رحمهما الله - وعن الإخوان المسلمين هداهم الله؛ إذن فالرسالة خيرٌ من المقدمة في التحذير من الغلو والجفاء في هذا الأمر وغيره، ولم تفعل المقدمة أكثر من تشويه هدف الرسالة حيث مالت إلى الغلو في أفراد وجفت آخرين.

٢- والمقدمة تخالف الرسالة في المنهاج مع أنها جاءت - افتراضًا - تأييدًا لها؛ تقول المقدمة: (إن سيدًا معذور في [عدم فهمه] توحيد الله لعدم وجود قواعد ثابتة عنده يومها) ص١١ .

وتقول الرسالة: (فليس يُعْذر سيد - رحمه الله - بخفاء جوانب من التوحيد الصحيح بدعوى أن الفترة: الزمنية التي عاش فيها».. إلخ (ص٣٥ - ٤٠).

٣- والمقدمة يخالف بعضها بعضًا: ص٥ تقول: بأن الذين شنقوا سيّدًا وقتلوا حسن البنّا (محاربون للدّين صراحة)، وهم يُغْلنون

الإسلام ويظهرون أداء بعض شعائره الظاهرة، وص٩، تقول بأنه: (لا يجوز أن نظن بمسلم تبنيّ العقائد المباينة للإسلام ولو أخطأ في الفهم أو قصر في التطبيق)، ومحاربة الإسلام أعظم من (تبنيّ) غيره - والله وحده يعلم إن كان الخلاف على السّلطة - كما أظن - أو على الإسلام - كما يدّعي الحزبيّون - ولم يُعْرف عن أيٍّ منهم الاهتمام بأعظم ما فرض الله على عباده: نشر توحيد العبادة والتحذير من الشرك فيها.

٤- ومع أن المقدّمة توافق الرسالة في التحذير من الغلو بدا لي أنها وقعتْ فيه بقطعها بالشهادة لحسن وسيِّد - رحمهما الله -، وقد بوَّب البخاري - رحمه الله - في صحيحه فقال: (لا يقال فلان شهيد) وساق أكثر من حديث صحيح يثبت ذلك (٥٦ - ٧٧). وَوَقَعت المقدمة في الغلوّ بدعواها: (أن نصيب حسن البنا - رحمه الله - من التصوف ذِكْرُه لله في الحادية عشرة من عمره مع بعض المصلّين الذين تبيّن له بَعْدُ أنهم من الخلوتية ولم ينتسب إليه) ص٧٠، وهذا مخالف لما أثبته حسن البنّا نفسه: يقول -رحمه الله- في كتابه: (مذكرات الدعوة والداعية ص٢٧، ٣٤ط الزهراء للإعلام العربي ١٤١٠ - ١٩٩٠: (وظلْتُ مُعلَّق القلب بالشيخ [عبدالوهاب الحصافي شيخ الطريقة الحصافيّة] حتى التحقت بمدرسة المعلّمين الأوّليّة بدمنهور وفيها مدفن الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذي لم يكن تمَّ حينذاك ، وتمَّ بعد ذلك، فكنت مواظبًا إلى زيارته كل يوم

تقريبًا)، (وواظبت على الحضرة الصوفية] في مسجد التوبة كل ليلة، فرجوته [بسيوني العبد] أن يأذن لي يأخذ العهد [الصوفي] عليه فقبل.. وحضر السيد عبدالوهاب [الحصافي] إلى دمنهور وتلقيت الحصافية الشاذلية عنه وآذنني بأدوارها ووظائفها، وكانت أيَّام دمنهور ومدرسة المعلمين أيَّان الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة، وكانت سنِّي إذا ذاك من الرابعة عشر إلا أشهرًا إلى السّابعة عشر إلا أشهرًا، ويشهد له الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله - أنه استمر في هذا الطريق إلى آخر حياته (التفسير السياسي للإسلام) ص ١٣٨ - ١٣٩ .

ويَشهَد الشيخ حسن نفسه أنه اختار شدّ الرحال إلى القاهرة: (حيث دار العلوم وحيث المقر الرئيسي لشيخنا السيد عبدالوهاب الحصافي)، مذكرات الدعوة والداعية ص٥٢، فيقول: (كنت سعيدًا بالحياة في القاهرة هذا العام.. كما كنت أجد متعة كبرى في الحضرة [الصوفية] عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع في منزل الشيخ الحصافي، ثم في منزل الخليفة الأول للشيخ الحصافي علي أفندي غالب) ص٥٥، (وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد النبي ﷺ بالموكب بعد الحضرة كل ليلة من أوّل ربيع الأول إلى الثّاني عشر منه)ص٥٨ .

ولم تكن علاقته - رحمه الله - بالتصوّف مجرّد اشترك في الذكر الصوفي وإعجاب بالذاكرين على طريق غير طريق رسول الله ﷺ ثم

بيعة صوفية على الأوراد والموالد، بل دراسة للتصّوف - كما يقول حسن البنّا - مع ثاني مؤسّس لجماعة الإخوان المسلمين: أحمد السّكري، حيث كانوا يجتمعون ليلة الجمعة في منزل الشيخ شلبي الرّحال بعد الحضرة (حيث نتدارس فيها كتب التصوّف من (الإحياء)، ونسمع (أحوال الأولياء)، و(الياقوت)، و(الجواهر) وغيرها، ونذكر الله إلى الصباح، كانت من أقدس مناهج حياتنا) ص٣٩ .

وأثناء دراسته في دار العلوم يقول: (خصّصت جزءًا من كتبي (كالإحياء) للغزالي، و(الأنوار المحمدية) للنبهاني، (وتنوير القلوب في معاملة علام الغيوب) للشيخ الكردي، وبعض كتب المناقب والسِّيَر، لتكون مكتبة دورية خاصة بهؤلاء الإخوان يستعيرون أجزاءها يحضّرون موضوع الخُطَب والمحاضرات منها) ص٦١ .

من هنا أُتِيَتْ أكثر الجماعات الموصوفة زورًا بالإسلامية: تأخذ منهاج دعوتها من كتب التّصوّف والابتداع والخرافة والتاريخ ولا تأخذه من نصوص الوحي والفقه فيها؛ منهاج رسول الله ﷺ وخلفائه وصحابته وتابعيه بإحسان إلى بوم الدين.

ويبيّن الشيخ حسن - رحمه الله - أنه لم يتجنّب محاباة طريقته الحصافية التي بايع عليها بسبب أنها بدعة منكرة لم يكن عليها أمر رسول الله ﷺ ولا أئمة القرون المفضلة، ولكنه لم يشأ أن يحصر جماعة الإخوان في طريقة واحدة: (لم أكن متحمسًا لنشر الدعوة على

أنها طريق خاص لأسباب أهمّها: أني لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطُّرُق الأخرى، ومع هذا أكرمت الشيخ عبدالرحمن [سعد خليفة الشيخ الحصافي] وأحسنت استقباله ودعوت الراغبين في الطريق [الصوفي] إلى الأخذ عنه) ص٨٨، ٨٩ .

ويؤيد هذا قوله في مجموعة رسائله طباعة المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر في بيروت، أن الحركة: (دعوة سلفية وطريقة سنّية وحقيقة صوفيّة وهيئة سياسية جماعة رياضية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية) ص١٥٦، ١٥٧، وقوله ص٨٩ - ١٠٠: (ونظام الدعوة في هذه المرحلة مرحلة التكوين - صوفيٌّ بَحْتٌ من الناحية الرّوحية، وعسكريٌّ بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين أمر وطاعة من غير تردّد ولا مراجعة ولا شك ولا حوج)، وحقيقة هذه الدعوة أنها: حقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية، أما أنها دعوة سلفيّة وطريقة سنّيّة ففي ذلك نظر، بل هناك تباين واضح بين الدعوتين والطريقتين.

١- الدعوة السلفيّة الطريقة السنّيّة منذ أرسل الله أوّل رسله حتى أرسل خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تبدأ وتنتهي بالأمر بإفراد الله بالعبادة والتحذير من إشراك الأولياء معه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

أما الشيخ حسن - رحمه الله - فلم يكن في دعوته مكان يذكر لهذا الأمر العظيم، ومع أنه أوصى تابعيه (بتخفيف شرب الشاي

والقهوة) ضمن واجباتهم العملية للبيعة الإخوانية المبتدعة، وأوصى ولاة الأمر (بتنظيم المصايف وتوحيد الزيّ) (مجموعة رسائله ص٧٦، ٧٧ - ٢٧٧، لم يجعل من الواجبات العملية للبيعة، ولا من وصاياه للولاة، تحذير الرعية ولا الرعاة في بلاد المسلمين من أوثان الأضرحة والمزارات والمشاهد والمقامات ولا تحذيرهم من البدع الشركية الأخرى التي عايشها من المهد إلى اللحد.

ومع أن سيد قطب وحده - رحمه الله - تنبّه إلى هذا النقص الفاضح في منهاج الشيخ حسن وأتباعه فقال: (الحركات الإسلامية تشغل نفسها بالاستغراق في الحركات السياسية المحدودة كمحاربة معاهدة أو اتفاقية وكمحاربة حزب أو تأليب خصم في الانتخابات عليه، كما أنها تشغل نفسها بمطالبة الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية بينما المجتمعات ذاتها قد بَعُدَتْ عن فهم مدلول العقيدة الإسلامية؛ لأن المجتمعات البشرية اليوم بما فيها المجتمعات في البلاد الإسلامية قد صارت إلى حالة مشابهة كثيرًا أو مماثلة لحالة المجتمعات الجاهلية يوم جاءها الإسلام فبدأ معها من العقيدة والخُلُق لا من الشريعة والنظام). لماذا أعدموني ص ٢٩، ٣٤، إلا أنه - رحمه الله - لم يكن يفقه معنى **«لا إله إلا الله»** ولا الفرق بين توحيد الألوهيّة وتوحيد الربوبية، فضلًا عما دون ذلك من علم الشريعة؛ يقول - رحمه الله **«لا إله إلا الله»** كما كان يُدْرِكها العربي العارف بمدلولات لُغته: لا حاكميّة إلا لله)، ص١٠٠٦ دار

الشروق. ويقول: (والإله هو المستعلي المستولي المتسلّط) ص ٤٠١٠، ويقول: (فقضية الألوهية لم تكن محل خلاف، إنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات) ص١٠٠٦، والله تعالى يقول ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ﴾.

وبعد هذا ألا يجب أن نميّز بين (بحر علم سيد) كما وصفه الشيخ زهير، وفخّ أسلوبه الصحفي الذي خُدِع به كثير من الناس فظنوه ماء وما هو إلا السّراب؛ عفا الله عنا وعنه لقد قال على الله بغير علم فساهم في صرف الناس عن اليقين إلى الظن في تفسير القرآن، مثل كثير من المثقفين الجهلة بشرع الله، عفا الله عن الجميع، وردّنا وردّ المسلمين إلى دينه الحق ردًّا جميلًا.



بدعة الانشغال بالإعجاز الظني عن التدبر اليقيني

كتب رئيس تحرير جريدة الرياض مقالًا بعنوان: **(القرآن بلغة العلم)** في العددين ١٢٦٠٧ و١٢٦٠٨ عام **١٤٢٣هـ حول فرحته** بمنهاج جديد في الدّين دلّه عليه د. (زغلول النجار)، **فرأيت تنبيهه** وقرّاء جريدته إلى ما يلي:

١- الواجب في مثل هذا الأمر الرجوع إلى **وحي الله الذي لا** يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفقه أئمة **القرون المفضلة** فيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾.

٢- د. زغلول هدانا الله وإياه ليس بأوّل من **قال على الله بغير عِلْم** فقد سبقه (رشاد خليفة) الذي بَهَرَ عقول **أشباه العوامّ من** المثقفين بادّعائه أنّ كلّ سور القرآن تنقسم **على رقم ١٩ أو** مضاعفاته، وشجّعه ذلك على التّنبّؤ بيوم القيامة، **ثم اتُّهم بادّعاء** النبوة والانتماء إلى فرقةٍ ضالّة تقدّس الرقم (١٩) **واغتيل**.

وقبل ذلك سبقه (الكواكبي ت ١٣٢٠هـ) للابتداع **في التأويل**.

ثم تبعه الشيخ (طنطاوي جوهري ت **١٣٥٨هـ) في تفسيره** (الجواهر).

وكلّ من وَلَغ في تفسير كلام الله اليقيني بالظن **في هذا العصر**

من (**الكواكبي**) **إلى** (زغلول النجار) ليس لهم من الإحاطة بشرع الله وبالعلوم **الطبيعية** ما يعذرهم في القول على الله والانحراف عن منهاج **النبوة وفقه القرون** المفضلة فيه.

ولكن **اثنين من** العلماء سبقوا متأخري المفكّرين تجاوز الله عنّا وعنهم **جميعًا؛ فكما** فتح (الغزالي - ت ٥٠٥هـ) الباب للخلط بين التّصوف **والإسلام**، فتح الباب للخلط بين الفقه والفكر في فهم نصوص **الوحي في** كتابه: (إحياء علوم الدين) وكتابه (جواهر القرآن) وتبعه (**الفخر الرازي** - ت ٦٠٦هـ) في تفسيره (مفاتح الغيب)، والاثنان **من أئمة الانحراف** في الاعتقاد والتأويل.

٣- **يُظْلَم العلم** الشرعي بدعواكم: أن زغلول النجار: «متمكّن من العلوم **الشرعيّة**»؛ فلم يُعْرَف عنه تمكُّن - بل - ولا اهتمام بالعلم **الشرعي ولا** دعوة إلى إفراد الله بالعبادة ونفيها عن أوثان **المقامات والمزارات** والمشاهد التي أحاط بها وأحاطت به أكثر سنوات **عمره خلافًا** لمناهج كل رسل الله وكل رسالاته، ولا حاول قطّ نشر **السنة ولا** التحذير من البدع.

أما لقب الدكتوراه في الجيولوجيا فلا يجيز له وأمثاله الاعتداء على **تأويل كلام الله** تعالى الذي أَسْقَطَ عن مِثْله صفة العلم اليقيني الشرعي، **وإن كان** له نصيب من العلم الظنّي الدنيوي: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾

٤- دعواه: (خَطَأَ حَصْر التّعليم الديني بعلوم فقهيّة محدودة) ودليله: (أن علماء الدين الأوائل فيهم الطبيب والفيزيائي والفلكي) ناتجة عن انحرافه عن منهاج العلم الشرعي وبُعده عن الفقه في دين الله، وبالتالي: وإبعاده عن منابر الإعلام الديني والدعوة إلى الله وبخاصة في بلاد الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة، فليس بين علماء الأمة المعتدّ بهم في القرون المفضلة طبيب ولا فيزيائي ولا فلكي ولا فيلسوف، وكانوا يحصرون العلم والتعليم الديني في الاعتقاد والعبادات والمعاملات من الوحي في الكتاب والسنة وفقه السلف في نصوصهما، ولم يلتفت المسلمون إلى المهن والفنون التي ذكرها إلا بعد مرحلة الضعف والانبهار بالفكر اليوناني والاهتمام بترجمته ثم النّسج على منواله في الفكر المنسوب إلى الدين.

وما مَثَلُه إلا كَمَثَل سيد قطب - تجاوز الله عنا وعنهم جميعًا - عندما خُيِّل له (نقص مناهج التفسير في القرون المفضلة لانشغال المفسرين بالأهداف الدينية التي تناولها عن إظهار الجمال الفني في القرآن «التصوير الفني في القرآن» (ص٢٧، ٣١، ٢٣٩، ط٩) دار الشروق؛ فاستدرك سيّد قطب النّقص الذي تخيّله في القرون المفضلة؛ فوصف آيات الله وكلماته بالسحر (ص١٧، و٢٥)، وبالعرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاها العسكرية (ص٩٧)، وبما يشبه الشعر (ص١٠٢ - ١٠٥)، وبالفن والتصوير والرسم، وبالتعويذة وما فيها من خفاء وهينمة وغموض وإبهام،

وبالمشاهد المسرحية والسينمائية (ص١١٤، ١١٥) واستعان بموسيقيّ (ص١٠٢) ورسّام (ص١١٤) لضبط المصطلحات الفنيّة في وصفه كتاب الله بِلُغَة اللهو.

٥- (الاجتهاد السلفي الواحد) الذي أبدى الكاتب (أسفه لاكتفائنا به) هو وحده الحق، لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾، وخطّ رسول الله ﷺ خطًّا مستقيمًا وخطوطًا خارجة عنه، مبيّنًا أن على المسلم اتباع الخطّ (الواحد) وتَجنُّب الخطوط الأخرى، وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾، وهؤلاء هم السّلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم وحدهم الذين يؤخذ عنهم حتى تتّحد الأمة على منهاج النبوة فلا تتفرّق بهم سُبُل الفكر عن سبيل الله، وهم الأقرب إلى عصر النبوة وهم أعْرَف باللغة التي نزل بها كتاب الله قبل أن تفرّق لغة وسائل الإعلام - في هذا العصر - المسلمين عنها، وقال النبي ﷺ: **«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»**.

٦- آيات الكتاب المبين: إمّا محكمة، عرف السلف الصالح معانيها وعملوا بها، ولن يأتي عالم - فضلًا عن جيولوجي أو كاتب أو طبيب - بخير مما هداهم الله له، وإما متشابهة، فلا يجوز البحث عن معانيها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

٧- لقد سبق النصارى إلى مثل هذا الانحراف - كالعادة - كما أخبر النبي ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم**» متفق عليه، فحاولوا الاستدلال على صحة الإنجيل بموافقته للنّظريّات الكونية، ولما تغيرت النّظريّات سُقِط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلّوا، وأصيب التّديّن النصراني المحرف بنكسة لم يُفِق منها إلى اليوم إذا قدر الله حدوث ما يُسَمّى بالصحوة الدينية لسبب وغاية لا يعلمها إلا الله.

وآخر ما أطّلعت عليه في هذا الطريق المعْوَجّ استدلال اليهود عل صحة التوراة بما ظهر من التنقيب في وادي الأردن مبينًا أن ثمن الرقيق في عهد موسي موافق لما نُصّ عليه في التوراة المحرّفة.

والظن بأن اليهودي الذي ذكره الكاتب (سيغيّر من ثوابته العدائية للإسلام) إذا ادّعى زغلول النجار أن رقم سورة الحديد في المصحف ٥٧ هو الوزن الذري الحديد، وأن آخِرَ آيةٍ في السورة مع البسملة هي العدد الذّري للحديد - كما ذُكِر في المجلّة العربيّة عدد ٢٩٦ - إنّما هو الوهم والإثم، ولكن قد يُرضي اليهود والنصارى متابعة المسلم لهم في تحريف كتاب الله بتأويله بما يخالف سبيل رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيه - رضي الله عنهم -؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ .

وتأويل زغلول النجار قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ ، مجرد تردد لما قاله مصطفي محمود وأمثاله لا يقوله عالم بكتاب الله، ولو قرأ الآية قبلها لَعَلِمَ أن ذلك في الآخرة:

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾. والآيـــة: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠﴾ والآية: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾.

وقبل أن (يشيع أن الأرض كرويّة) اتضح لعلماء التفسير واللغة المعتدّ بهم بل لطلاب العلم: أن للشمس كل يوم مطلع ومغرب، وفسروا به ذكر المشارق والمغارب جُمعًا وتثنيةً وإفرادًا، فكلّ ما يقوله (زغلول) إنّما هو مِنْ زخرف القول وغروره، إضافة إلى ادّعاءاته التي تبهر الصحفيين والعوام وأشباههم فيشرونها دون تثبّت عن (عدد الذين أسلموا) لمّا سمعوا تفسيرًا يهجر يقين الوحي ويأخذ بظن الفكر العلماني، وعن العالم الأوروبي المجهور في (ذكر الشواهد القرآنية عن علم الأجنّة).

وكفى بالمسلم ضلالًا تفسير اليقين الإلهي بالظّنّ البشري من غير مسلم أو من مسلم جاهل بشرع الله.

لا أشكّ ولا أشكّك في نيّته وأمثاله، ولكن من الواضح أن الشيطان يركبهم مطايا في الصدّ عن التدبرّ الذي أُنزل كتاب الله لأجله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

٨- لا يجوز المساواة بين الشيخ (علي الطنطاوي) -رحمه الله- وبين (د. زغلول النجار)، فالأول - خلافًا للثاني - عالمٌ بشرع الله وداعٍ إلى الله على بصيرة ومعروف بصحة المعتقد وصحة العبادة، ومهنته القضاء الشرعي والدعوة، وهوايته الأدبية لم تخرج به عن منهاج النبوة في الدين والدعوة فيما يتعلق بأصول الدين، ولم يأت

بجديد في المنهاج ولا في الوسيلة، ولكن الله وهبه لسانًا وقلمًا يذكّر بمزامير آل داود يجذب القارئ والمستمع إليه.

ولا جديد في الدين منذ انقطع الوحي بموت محمد ﷺ إلى قيام الساعة قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، وقال النبي ﷺ: **«تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنّتي»** وقال: **«عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنّواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة»**.

وقبول الفكر الجديد المنحرف في التأويل استدراك على الله وعلى شرعه واتّهام لرسوله بالتّقصير في البيان واتّهام لخيار أمته بالتّقصير في الفقه.

٩- هذا الفكر المنحرف في التأويل - مع افتراض حسن النية - تسويل من النفس ووسوسة من الشيطان لصرف الناس بالفكر عن الوحي وبالظن عن اليقين وبالفنون الدنيوية عن علوم الشريعة وعلمائها، وصرف للناس عن الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالشهادة، والله أعلم بما يُصْلح عباده، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾.

١٠- ظنّ (أحمد ديدات) قبل (زغلول النجار) تجاوز الله عنهما أن إحاطته بالإنجيل تغنيه عن الإحاطة بشرع الله ومنهاج نبليغه في

تبليه، وظنّ كثيرٌ من الصّحفيّين والعوامّ، وظن أشباههم من طلاب العلم أنّه آتٍ بما لم تستطعه الأوائل، ولم يسألوا عن اعتقاده ولا عن مدى التزامه بالسنة في الدين والدعوة ومخالفته لأعدائها، وخالف نصوص كتاب الله وأوامره تجاوز الله عنه في مجادلة أهل الكتاب خاصة: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾، وغيرهم عامة: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ﴾، وكانت النتيجة أن تحرّك مناظروه من النّصارى للردّ عليه وعلى دين الإسلام فاتّهموا كتاب الله بالتناقض والرّكاكة وألّفوا سُوَرًا يدّعون أنها مثله ردًّا على اتهامه الإنجيل بمثل ذلك.

لم يقع (زغلول النجار) في المجادلة بالأسوأ ولم يقع (أحمد ديدات) في التأويل المنحرف فيما أعلم، ولكنَّ كلًّا منهما خالف ما يسمّيه تركي السديري (الاجتهاد السلفي الواحد) ويسميه أهل العلم: صراط الله المستقيم: نصوص الوحي بفهم أئمة السلف، وهو وحده الذي يتّحد به المسلمون وبدونه يتفرق المسلمون على دين الله ووحيه وكلماته بِتَفَرُّق وتعدّد واختلاف المعايير الفكرية: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾.

والله ولي التوفيق.



وسلطنة عُمَان تضربُ مثلاً

كتبتُ من قبل بعنوان: (آيرلندا تَضْرِبُ مثلًا) لدولة ترتفع من أسفل منحدرات الانهيار الاقتصادي إلى قِمَم النّمو الاقتصادي خلال عقدين من الزّمان بأسباب في متناول الجميع وأهمها: تعاون الرّعية مع الرّاعي في الأخذ بأسباب الإصلاح وتحمّل عواقبه، والصبر على مخالفته لهوى الأنفس الأمّارة بالسّوء (من الإسراف والشحّ والكسل وتقديم المصلحة الخاصّة والعاجلة على المصلحة العامّة والآجلة).

ثم زُرْتُ سلطنة عُمَان في آخر شهر من عام ١٤٢٤هـ وفوجئت بِمَثَلٍ قريب غير بعيد، عربي غير أعجمي، في منطقة تصنَّف مع العالم الثّالث، لا الثاني ولا الأوّل، ومع دُوَل الشّرق والجنوب، لا الشمال ولا الغرب، وخارج نطاق الحضارة الصّناعية لا داخله.

لقد زرت كثيرًا من أهمّ الدّول والمدن العربية والأعجمية، وأشهد شهادة حقّ أنني لم أر (ولم أحلُم أي أرى) في البلاد العربيّة والمسلمة كما رأيته في سلطنة عُمَان من تكاتف صفات الخير الخُلُقيّة والإداريّة الجِبِلِّيَّة والمُكْتَسَبة، وسأحاول فيما يلي عرض أهمّ ما ظهر لي من آثارها بإيجاز:

أ- أوّل ما يظهر للزّائر عند وصوله الحدود الدّوليّة العُمَانيَّة حُسْن المعاملة من المواطن الإداري وحُسْن الخلق من المواطن العادي.

ومع أن الله وهب المواطن الخليجي نصيبًا متميِّزًا عن غيره في اللّين والهدوء والسّماحة - فيما ظهر لي - فإن نصيب العُمَاني من فضل الله في هذا الجانب كان الأوفى، وكان هو الأحقّ به وهو أهله.

ب- تبذل الدّولة جهدًا واضحًا ومثمرًا في إدارة البلاد تخطيطًا وتنظيمًا وصيانة، وأكثر الدّول تبذل مثل هذا الجهد، ولكنَّ ما يميّز سلطنة عمان طاعة الرّعية وتقيّدهم بالأنظمة والتزامهم بتنفيذها ؛ فلا تكاد ترى شيئًا يعكّر صفو النظّام والنظافة مما بُلِيَتْ به أكثر البلاد العربية والمسلمة: الكتابة على الجدران واللّوحات المرورية، مخلّفات البناء، الأوراق والمناديل والأكياس، هدر المياه، التّسابق على حقّ (أو عدم حقّ) المرور. ولا تكاد تسمع شيئًا يعكّر صفو الهدوء والأمن مما بُلِيَتْ به أكثر البلاد العربية المسلمة: أبواق السّيّارات، مزامير مركبات الشرطة، صياح الدّعايات الدّينيّة والدّنيويّة، ضجيج صغار السنّ وصغار العقول.

ج- ونتيجة لتوفّر القاعدة الشّرعيّة والعقليّة للعلاقة الصّحيحة بين الرّاعي والرّعية: (الطّاعة في المعروف والتّعاون على تحقيق المصلحة العامة) لا يكاد الزّائر يرى مظهرًا من مظاهر الإجبار على تنفيذ النّظام؛ لا الجيش ولا الشّرطة ولا منظّمي المرور ولا الحواجز الأمنيّة الطّارئة، في هذا الزمن الذي ابتُليَ فيه المسلمون (وغيرهم) بظهور رؤوس الفتن والإرهاب، والتّكفير والتفجير، وتحكيم الأهواء باسم الإصلاح الدّينيّ أو الدّنيوي.

ولكن أهمّ ما يميّز الشعب العُمَاني - كما أشرت من قبل: الخُلُق الفِطْرِي الذي يصعب تعليمه أو اكتسابه؛ فلم نتكلّم مع عُمَانِّي إلا ظهر لنا فَرَحُه بالاستجابة، وكَرَمُه بنفسه ماله وجهده ووقته، وصدق رسول الله ﷺ في خبره بأن الله تعالى قسم على عباده الأخلاق كما قسم عليهم الأرزاق، ومن فضل الله ومنّه وجُودِه أعطى العمُانيّين نصيبًا موفورًا من القسمتين: الأخلاق العمليّة بالجِبلّة، والأرزاق بالكدّ والجهد في الداخل والخارج ثم بما فتح لهم الله من خزائن الأرض.

هـ- وأخيرًا.. أخصّ بالذّكر أمرين تميّزت بهما سلطنة عُمَان بين أُمَم الأرض مرتبطين بصفة شرعيّة يحبّها الله من عباده ويكره ما يناقضها: «القصد في الفقر والغنى» ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ :

١- الالتزام بنظام المرور ومراعاة حقوق الآخرين فيه: جعل من النّادر مشاهدة حادث مروري، أو أثره على السّيارات، أو تَعرقُلِ حركة المرور بسببه، فكلّ السّيارات نظيفة وخالية من الخدوش، وأهم من ذلك كلها صغيرة الحجم اقتصادًا في النّفقة وفي الوقود، بعيدة عن مظاهر التّفاخر والتّعاظم كالغَبِيّ الكاذب على حساب نعمة الله بالمال ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ولحساب المنتجين في الخارج ممّن يُطالِبِ الحركيّون - سفهًا - بمقاطعتهم فيما لم يشرع الله تعالى ولا يَحْكُم العقل بمقاطعتهم فيه.

٢- ولأنّ سلطنة عُمَان مثلا كلّ بلاد العالم تعاني من نقص الماء

ظهر اهتمام واضح بالاقتصاد في صرفه، وفي الأماكن العامّة التي زرتها أدوات مستوردة ومنتقاة لتحقيق هذا الغرض لم أرها في أي مكان آخر من هذا العالم.

أرجو الله أن يزيد العُمَانيين من فضله دينًا ودنيا، وإيمانًا وأمنًا، وطاعة لله تعالى واتِّباعًا لسنة نبيه ﷺ ليبقوا قدوة صالحة في أمور الدنيا، وليكونوا قدوة صالحة في أمور الدين، وأن يردّ الجميع إلى دينه ردًّا جميلًا، وصلى الله وسلم وبارك عل محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنّته، والدّعاة على منهاجه ، اللهم واجعلنا منهم.





الفهرس



تم الصف والإخراج بمكتب ألفا للصف والتحقيق والإخراج الفني
٥٨ ش صلاح الدين ناصف – الهرم – الجيزة – جمهورية مصر العربية
ت: ٠٠٢٠٢٣٨٨٨٥٩٣ – ٠٠٢١٠١٠٩٩٨٠٥